المشاركة في إعادة بناء الحياة

دراسة حالات

استخدام نهج «من طفل إلى طفل» مع الأطفال في الظروف الصعبة

ورشة الموارد العربية ❖ بيسان للنشر والتوزيع

المشاركة في إعادة بناء الحياة

استخدام نهج «من طفل إلى طفل» مع الأطفال في الظروف الصعبة

دراسة حالات

إعداد: باتريسيا هارمان وكريستين سكوتشمر

١. من الصحة إلى حقوق الطفل

٢. في صحة البيئة

٣. دور الشراكات في نشر نهج "من طفل إلى طفل"

٤. الصحة المدرسية في مخيمات اللاجئين

ورشة الموارد العربية ❖ بيسان للنشر والتوزيع

المشاركة في إعادة بناء الحياة . استخدام نهج «من طفل إلى طفل» مع الأطفال في الظروف الصعبة . دراسة حالات

- إعداد: باتريسيا هارمان وكريستين سكوتشمر
- ترجمة: غاندي المهتار
- **الطبعة العربية الأولى**، ٢٠٠٠: تصدر هذه الدراسات المختارة من النص الأصلي في إطار برنامج «من طفل إلى طفل» في ورشة الموارد العربية. تدعم البرنامج مؤسسات مختلفة، ومنها الخدمات الجامعية الدولية WUS، وغيرها.
- الناشر: **ورشة الموارد العربية** (للرعاية الصحية وتنمية المجتمع).

Arab Resource Collective (ARC), P.O.Box: 27380, Nicosia 1644 - Cyprus.
Tel (+3572) 766741, Fax: 766790, E-mail: **arccyp@mawared.org**
Website: **www.mawared.org**

- **في لبنان: ورشة الموارد العربية**: ص.ب: ٥٩١٦-١٣ بيروت ـ لبنان
  الهاتف: ٧٤٢٠٧٥ (٩٦١١+)، الفاكس: ٧٤٢٠٧٧
  البريد الالكتروني: **arcleb@mawared.org** الموقع على الشبكة: **www.mawared.org**
- **بيسان للنشر والتوزيع**: ص.ب: ٥٢٦١٠-١٣، بيروت ـ لبنان

Al Musharakat Fi Iàadat Bina' Al-Hayat (Participating in Rebuilding Life).
Based on: *Rebuilding Young Lives: Using the Child-to-Child Approach with Children in Difficult Circumstances.* Six case studies:

1. **Nepal: From Health to Children's Rights:** Child-to-Child in the Bhutanese Refugee Camps
2. **Romania: The Health Messengers Association**
3. **West Bank and Gaza: Environmental Health Through the Child-to-Child Approach**
4. **Yemen: A Common Thread:** Radda Barnen's Support for the Development Of Child-to-Child
5. **Yemen: On Course for a Healthy Future:** Reflections on the Implementation of the Child-to-Child Approach in the Somali Refugees Primary School
6. **Zaire: Unaccompanied Children as Refugees:** Protecting their Right To a Normal Development

By: Patricia Harman and Christine Scotchmer
The Child-to-Child Trust, Institute of Education, 20 Bedford Street, London WC1H 0AL, UK.

This Arabic version contains case studies NOs 1, 3, 4, 5 from the original title.
Published by the Arab Resource Collective (ARC), P.O.Box: 27380 Nicosia 1644 - Cyprus.
Fax: (+3572) 766741, E-mail: arccyp@mawared.org Website: **www.mawared.org**
In Lebanon: ARC: P.O.Box: 13-5916, Beirut - Lebanon. Tel: (+9611) 742075, Fax: 742077
E-mail: arcleb@mawared.org Website: www.mawared.org
First Arabic Edition, 2000.
Published wih Bissan for Publishing & Distribution, P.O.Box: 13-52610, Beirut - Lebanon

---

ARC wishes to thank World University Services (WUS) for facilitating the funding of this edition.

المحتويات

- مسرد مصطلحات ٤
- تقديم ٥
- مدخل ٦

١. الحالة الأولى من النيبال ٩
من الصحة إلى حقوق الطفل - نهج "من طفل إلى طفل" في مخيمات اللاجئين البوتانيين

٢. الحالة الثانية من الضفة الغربية وقطاع غزة: ٢٥
صحة البيئة باستخدام نهج "من طفل إلى طفل"

٣. الحالة الثالثة من اليمن ٤٣
الخيط المشترك - دور الشراكات في نشر نهج "من طفل إلى طفل"

٤. الحالة الرابعة من اليمن: ٥٧
نحو مستقبل صحي - أفكار في تطبيق نهج "من طفل إلى طفل" في مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية

- **استمارة لتوثيق خبرات عربية في تطبيق نهج "من طفل إلى طفل"** ٦٧

- **موارد «من طفل إلى طفل» من ورشة الموارد العربية** ٧٢

مسرد مصطلحات

الإدارة البريطانية للتنمية الخارجية:	British Overseas Development Administration (Now DFID)
التأهيل المرتكز على المجتمع / في إطار المجتمع:	Community Based Rehabilitation (CBR)
التعليم التبادلي:	Shared learning
الخدمات الجامعية الدولية:	World University Services (WUS)
رسائل صحية:	Health message
محلول معالجة الجفاف:	Oral Rehydration Solution (ORS)
منسق المواد:	Resource teacher
مهارات حياتية:	Life skills
وقت الفراغ:	Free periods

تقديم

صدرت هذه الدراسات في الأصل من جمعية "من طفل إلى طفل" / لندن سنة ١٩٩٧، محصلةً لمشروع مسح وتوثيق وتدريب يركّز على توظيف نهج "من طفل إلى طفل" مع الأطفال في الظروف الصعبة. يشتمل التقرير الإنكليزي على دراستين إضافيتين، لم ننقلهما إلى العربية نظراً لخصوصية المجتمع المحلي الذي تدرسه هاتان الحالتان، لكن يمكن الحصول عليهما من النص الأصلي، وهما:

- رومانيا: مؤسسة "رسل الصحة"؛
- زائير: "اللاجئون الأطفال" ـ المحافظة على حقهم في التطور الطبيعي.

تقدّم الدراسات الأربع المتوفرة في هذا التقرير أمثلة من بيئتنا العربية، ومن بيئة تشبهها، على إمكانات تطوير نهج "من طفل إلى طفل" وتكييفه بحسب احتياجاتنا المحلية؛ كما تسلّط الضوء على طاقات الأطفال الكامنة وقدراتهم، التي لا تؤخذ في الاعتبار في أحايين كثيرة.

بعض الأفكار في استخدام هذه الدراسات

- نموذجاً لتوثيق تجاربنا؛
- تطبيقات مقترحة على نهج "من طفل إلى طفل"؛
- موارد تساعد في التدريب على برنامج "من طفل إلى طفل"؛
- مادةً للتعريف بالنهج وبعض مجالات تطبيقه.

كما تشجعنا هذه الدراسات على تطويع الأدوات والوسائل المتاحة لتتلاءم مع مجتمعاتنا وثقافاتنا المحلية.

نأمل أن ترسلوا ملاحظاتكم على المورد وكيفية الإفادة منه من خلال الاستمارة المرفقة (ص ٦٧). وإن كان لديكم خبرات ميدانية في استخدام النهج تودّون مشاركتها مع العاملين في مؤسسات أخرى تطبّق ـ أو ترغب في تطبيق ـ النهج، نرجو تزويدنا بها، مع الأخذ في الاعتبار البنود الواردة في استمارة جمع الخبرات المرفقة في آخر التقرير.

ورشة الموارد العربية

مدخل

إن الحالات الأربع المدروسة في هذا التقرير تؤمن نظرة متبصرة في حياة الأطفال الذين يعيشون في ظروف صعبة والأطفال الواقعين في شباك الحروب والنزاعات.
إن درس هذه الحالات يُظهر الأضرار الجسمانية والعاطفية التي يعانيها الأطفال المعرّضون للعنف والانقطاع عن أهاليهم وعائلاتهم والحياة غير الآمنة في المخيمات والمرض وسوء التغذية، وتضاف إلى هذه المشكلات عادةً أخطار البيئة المفاجئة.
الحالات المدروسة هنا تصف الصعوبات التي يواجهها الأطفال الذين يعيشون في مخيّمات وقرى وبلدات تدهورت فيها الخدماتُ والتقديمات إلى حدودها الدنيا إن لم ينل منها التدمير المنهجيّ أو الإهمال المزمن. كما أن المساحات المخصّصة للعب هؤلاء الأطفال وسكنهم فقدت أمنها بسبب استعمال الأسلحة المحظورة دولياً وزرع الألغام.
ما يُستشفّ فعلاً من هذه الدراسات هي القدرة الملحوظة عند الأطفال على الاستمرار والنجاح برغم كل هذه الظروف القاسية المحيطة بهم.
القدرة هذه، أو القوة، التي وُصِفَت على أنها "المرونة" التي يقول عنها فانيستاندايل (Vanistendael, 1995) إنها تتجاوز معنى التأقلم، **وتتألّف من مكوّنين:**

١. **مقاومة التدمير**، أي قدرة الإنسان على التماسك على الرغم من الضغوط التي يعيشها،
٢. ما هو أبعد من المقاومة الصرفة: القدرة على **بناء حياة إيجابية** على الرغم من الظروف الصعبة.

إن لدى برنامج "من طفل إلى طفل" الكثير مما يقدمه في عملية استعادة العافية هذه، سيّما وأنّ إشراك الأطفال المباشر يُشجّعهم على تنمية احترامهم لأنفسهم وتحصيل مهارات اجتماعية وتطوير إحساسهم الداخلي بقدرتهم على مواجهة المشكلات التي تعترضهم في حياتهم. إن هذه الدراسات ترسم صورةً واضحةً لكيفية استخدام نهج "من طفل إلى طفل" بغية تفعيل قدرات الأطفال في إطار تدعيم الحياة والصحة في مواجهة كل أنواع الأخطار، وذلك في بيئات اجتماعية وثقافية مختلفة.

عناصر أساسية

إلى كل ذلك، هذه الدراسات شاهدٌ على الالتزام القوي الذي أخذته البرامج على عاتقها لتحوّل نصوص **الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل** إلى حقيقة وواقع ملموسين.
وهكذا:

- يشارك الأطفال في **تحديد احتياجاتهم وفي اتخاذ القرارات في المسائل التي تخصّهم** وفي حلّ النزاعات (كما في أمثلة النيبال والضفة الغربية وقطاع غزة واليمن).
- يشارك الأطفال في **إعادة بناء حياتهم ومجتمعاتهم** (كما في الضفة الغربية وغزة واليمن)، وفي تنظيم حملات وأنشطة تركت أثرها الظاهر في السياسات الاجتماعية، إلى جانب إنشاء مركز للأطفال الصمّ (كما في اليمن).
- يعترف العاملون الميدانيون أنهم وجدوا لدى الأطفال اهتمامات وآراء وأولويّات قد تختلف عن تلك التي لدى الراشدين الذين تعاملوا معهم، من دون أن تقف هذه الاختلافات عائقاً أمام التطور نحو اشراك الأطفال(كما حصل في النيبال والضفة الغربية وقطاع غزة واليمن).
- تنظر هذه البرامج بعين الاعتبار إلى **الجذور الثقافية والاحتياجات الخاصة** لكل مجموعة من المجموعات غير الحصينة داخل المجتمعات والحضارات (ومنها مجموعات الأطفال المعوّقين اللاجئين وأهاليهم في النيبال واليمن، ومجموعات الإناث في النيبال والضفة الغربية وغزة واليمن).

الدراسات الأربع الواردة في هذا التقرير تسلّط الضوء على أهميَّة الشراكة التي لا تقتصر على تلك التي تقوم بين الراشدين والأطفال، بل تتعدّاها إلى:

- الشراكة بين القطاعين التربوي والصحي (كما في الضفة الغربية وغزة وفي اليمن).
- الشراكة بين الحكومات والمنظمات غير الحكومية (كما في الضفة الغربية وغزة وفي اليمن).
- الشراكة في ما بين المنظمات غير الحكومية نفسها (كما في النيبال والضفة الغربية وغزة واليمن).
- الشراكة داخل المدرسة لتسهيل تنفيذ إدراج الصحة بين مواد المنهاج التعليمي (كما في النيبال واليمن).
- الشراكة مع وسائل الإعلام (كما في الضفة الغربية وغزة).

نحو مشاريع فاعلة

بعد دفعة الحماسة الأولى التي ترافق بداية كلّ مشروع جديد، ينبغي استنباط الوسائل التي تكفل تدعيم الجهود بغية تحقيق التحسينات المنشودة. ولهذا، يركّز معظم الدراسات على العوامل الأساسية والضرورية لمشاريع فاعلة وقابلة للإدامة، أي تركّز على أهمية:

- رعاية وصون **مشاركة المجتمع المحلي**، بما في ذلك مشاركة الأطفال، في اتخاذ القرار والعمل والتقييم.
- **بناء قدرات الأفراد** والمجموعات، وتمكينهم، من طريق تأمين تدريبٍ مستمرٍ ودقيقِ التخطيط.
- التركيز على **الاحتياجات ذات الأولويّة** وعلى التحضّر الدائم لاستحداث تعديلات أو تغيّرات في الأنشطة بعد **التقييم التشاركي** وإرجاع الأثر (أو المردود).

تقدّم دراسات هذا التقرير وصفاً لكيفية استخدام نهج "من طفل إلى طفل" والأفكار التي استنبطت لتشجيع الأطفال على اكتشاف دورهم في تحديد المشكلات واتخاذ القرارات وتنفيذها في بيئات مختلفة. إلى ذلك، تكمن القوة في مشاركة الأطفال في تحديد المشكلات واستكشاف الفرص التي توفرها المشاريع، الأمر الذي يُتيح لغيرهم فرصة التعلّم من تجاربهم. ولهذه الدراسات أهمية خاصة في نظر المهتمين بحقوق الطفل وصالحهم وأولئك الباحثين عن طرقٍ أكثر مرونة للعمل مع أطفالٍ ظروفهم صعبة.

من الصحة إلى حقوق الأطفال:

برنامج "من طفل إلى طفل" في مخيمات اللاجئين البوتانيين - النيبال

إعداد أوميش كاتل ورايتشل كارنيجي*

مقدمة

جلس الأطفال في حلقات ضيقة على العشب وبدأوا يرسمون. في البداية، رسموا لوحةً محورها السؤال "ما الذي يجعلني صحيح الجسم؟"، فأظهرت أنهم فهموا جيداً وتذكروا الكثير مما تلقّوه من تربية صحيّة في المدرسة. وبعد ذلك، أنتجوا لوحتين موضوعهما "ما الذي يسرّني وما الذي يحزنني؟". جلس المعلمون والمرشدون الصحيّون إلى هؤلاء الأطفال يرقبون تفاصيل رسومهم والأفكار التي يعبّرون عنها ويفسّرونها.

كانت التفاصيل البسيطة كالأثواب الجديدة والسيارة - اللعبة والورود والأصدقاء وأنواع الطعام تسرّهم، بينما تحزنهم أمور الحياة اليومية والحوادث الحاصلة في ساحات المخيمات، كأن يزجرهم الكبار ليتوقفوا عن اللعب أو أن يضربهم أهلهم بسبب سوء في سلوكهم. وتظهر حقيقة هذه الأفعال من خلال رسوم الأطفال أكثر حدّةً مما يعتقده الراشدون. وبعد تفكّر في هذه التجربة التي حصلت في ورشة للتدريب على نهج "من طفل إلى طفل"، أعرب الراشدون المشتركون عن دهشتهم من مدى استفادتهم من التجربة لما في نفوس الأطفال من كلامٍ يبوحون به عندما يجدون آذاناً صاغيةً.

كان هذا مشهداً من ورشة تدريبٍ على نهج "من طفل إلى طفل" خُصِّصَت لمعلّمين ومرشدين صحّيين وعاملين في مجال الإعاقة في مخيمات اللاجئين البوتانيين شرقي النيبال. وقد كان الهدف من هذه التجربة مساعدة الراشدين على تعلُّم كيفية الإصغاء وفهم الحياة من خلال وجهات نظر الأطفال.

خلفية المبادرة

بدأ وصول اللاجئين من بوتان إلى النيبال في العام ١٩٩١. اليوم، وبحلول العام ١٩٩٧، أصبح عدد اللاجئين حوالى تسعين ألفاً متجمعين في سبعة مخيمات في جنوب شرق النيبال، إلى جانب عشرة آلاف آخرين يعيشون خارج هذه المخيمات في النيبال والهند.

* أوميش كاتل منسق برنامج الأطفال في منظمة غوث الأطفال (SCF) جابا، النيبال. رايتشل كارينجي شريكة ومسؤولة سابقة في جمعية "من طفل إلى طفل". عملت في بوتان في الثمانينات حيث شغلت منصب المسؤول عن الموارد في ورشتين للتدريب على نهج "من طفل إلى طفل" في مخيمات اللاجئين البوتانيين شرقي النيبال.

قدم هؤلاء اللاجئون من جنوب بوتان الذي تنتمي غالبية ساكنيه إلى الأصل النيبالي والديانة الهندوسيّة. فبعد إحصاء سكّاني في العام ١٩٨٠، بدا للحكم البوتاني، ويهيمن عليه شماليون، أن التزايُدَ السكّاني الحاصل في جنوب البلاد تهديدٌ للثقافة والهوية الغالبتين، فانتهج سياسةً قمعيةً ضد أهالي الجنوب تضمَّنت توقيفات تعسّفية ومعاملةً سيئةً نفَّذتها القوى الحكومية، ما أدى إلى تهجير الجنوبيين. كما أُقفلت المدارس في الجنوب وخُفِّضت التقديمات الصحية تخفيضاً حاداً. نتيجة كل ذلك، غادر مائة ألف البلادَ - أي ما يعادلُ سدسَ عدد سكان بوتان. قاسى الأطفال البوتانيون عذاباً شديداً خلال هجرة عائلاتهم، ولا يزالون يقاسون يومياً في المخيمات غير الآمنة التي تأويهم الآن. وفيما يلي شهادة تلميذة تدعى بافيترا خاتري تُصَوِّرُ معاناة أترابها (الإطار ١).

في النيبال، بادر اللاجئون إلى بناء مخيماتهم الموقتة الخاصة ومدارسهم تحت الأشجار. وفي أواخر العام ١٩٩١، ابتدأت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تقديم المساعدات، بالتعاون مع جمعيات دولية ووطنية. تتولى منظمة غوث الأطفال مهمة العناية الصحية في المخيمات، بينما تتحمل كاريتاس مسؤولية البرنامج التربوي. اللاجئون البوتانيون مجموعة مؤثرة وكثيرة الموارد. فالمعلمون والعاملون الصحيون - وبعضهم اكتسب خبرةً في بوتان - يشكلون العمود الفقري للتقديمات الصحية والتربوية في المخيمات.

وبما أن نصف سكان المخيمات أطفال تقلّ أعمارهم عن ١٦ عاماً، تأوي المدارس قرابة ٤٠ ألفاً من التلامذة.

الحياة في المخيمات مستقرة نسبياً الآن. أغلبية سكانها موجودون فيها منذ أوائل العام ١٩٩٢، كما تجدها جيدة التنظيم والصيانة. الهمُّ الوحيد الذي يبعثُ الشعور بعدم الأمان في قلوب اللاجئين هو شكّهم في استمرار المجتمع الدولي في تقديم المساعدات للمخيمات وفي سعيه إلى حلّ لأزمتهم يتجلّى في عودتهم إلى بلادهم. فلقد حلّ اليأس من أي حلول للمشكلة محل صدمة تهجيرهم. وفي هذه البيئة، تركز طموح هؤلاء اللاجئين في البرنامج التربوي الذي يَرَون فيه بارقةَ أملٍ في مستقبلِ أولادهم.

إطار ١

قصة بافيترا خاتري

"...بدّل الاهتياج كل شيء. دُمِّرت البلدةُ والمنازل، وأُجبر الناسُ على مغادرة البلاد.
كنت تلميذةً في الصف الثالث، لكن الجيش البوتاني أقفل المدرسة. فقد وصل ٤٠ أو ٥٠ جندياً مشياً على الأقدام إذ لا طريق تؤدي إلى مدرستنا، ودخل خمسةٌ منهم إلى الصف حيث كان الأستاذ جون، وهو من كيرالا في الهند، يعلّمنا الإنكليزية. كنت جالسة في المقعد الأمامي. دخل الجنود ورموا كتبنا خارج الباب، ثم حاصروا السيد جون. لقد خفنا كثيراً، حتى الأستاذ جون كان خائفاً.
خرجنا جميعاً من الغرف. اجتمع بعض الجنود في مكتب المدير، ولعلهم طلبوا إليه قرع الجرس. لست أدري.. لكنه قرع الجرس فغادرنا إلى منازلنا. عدت إلى البيت مشيًا برفقة صديقتي زينوكا. تساءلنا عن سبب ما حصل وعن المكان الذي سنتابع فيه الدراسة، فالجيش استقر في مدرستنا منذ ذلك اليوم، وما عادت صالحة للتعليم.
كانوا يأتون إلى القرية فيضربون الشبان ويغتصبون الفتيات. ذات يوم، وصل سبعة جنود إلى بيتنا وسألوا والدي عني فأجابهم أني في منزل جدّي، فغادروا إلى منزلٍ آخر فيه بنات.
بعد وصول الجيش إلى قريتنا، بقينا فيها خمسة عشر يوماً، استُدعِيَ خلالها والدي إلى المدرسة وطُلِبَ منه مغادرة البلاد. اعتقد أنهم طلبوا منه المغادرة لأنهم رأوا أنه عصى الحكومة. وطُلِبَ من جميع القرويين المغادرة أيضاًمشينا من قريتنا إلى سوق ساربانغ، أي مسير ساعتين.
ومن ساربانغ، ركبنا الشاحنة إلى ماید في النيبال، أي إلى حيث اجتمع اللاجئون. إنها منطقة كثيرة الرياح غير صالحة للسكن. عندما وصلنا، كان المكان شديد الازدحام، وتوفي كثيرون. أظنهم ماتوا بسبب هذا الازدحام. بقينا في ماید ثلاثة أشهر تقريباً، وبنينا لأنفسنا خيمةً من القصب. حصلنا على بعض اللدائن الخضراء من المنظمات غير الحكومية. ومن ماید انتقلنا إلى بلدانفي ١.
إنه مكان أفضل.
أخبرنا الواصلون بعدنا عن بيوتهم التي دُمِّرت وأُحرقت. كما أخبرنا جيراننا أن الجيش البوتاني دمّر منزلنا.
سوف أعود إلى بوتان إذ إن هذا المكان ليس مريحاً. فبوتان وطني وفيه ولدت، وأشعر أن إقامتي هنا لن تطول. ثم ماذا سيحل بنا إن توقفت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR) عن تقديم العون لنا. ففي بوتان نملك المنزل والأرض، ونستطيع أن نزرع وأن نحصل على الطعام. أريدكم ألا تعتقدوا أني أكذب، فكل ما وصفتُ قد حلّ بنا. أسألكم أن تشعروا بمعاناتنا."

بافيترا خاتري، تروي حوادث عامي ١٩٩١ ـ ١٩٩٢. وكانت حينها في الحادية عشرة من عمرها.

أثر المشكلة في الأطفال

في أذهان أطفال اللاجئين، وخصوصاً من لم يبلغ العاشرة من عمره، ليست بوتان سوى ذكرى قديمة، إذ لا يعرفها كثيرٌ منهم إلا من خلال أحاديث الأهل. أما الأكبر قليلاً، فالكوخ في المخيم هو البيت الوحيد الذي يَعون وجوده. تتصل مشكلات الأطفال اتصالاً مباشراً بحياتهم اليومية في المخيم وبالشروط القاسية لأماكن اللعب التي لا تتوفر لها سوى مساحات ضيقة، إلى جانب تأثير صدمة أهلهم النفسية في بيئتهم العاطفية. أما المراهقون، فمشكلتهم الرئيسية تكمن في افتقارهم إلى التطلعات والآمال وفي انحلال الروابط الاجتماعية بينهم نتيجة الحياة غير المستقرة في المخيمات. فتشهد عائلاتٌ عديدةٌ هجرة الذكور الراشدين المخيمات طلباً للعمل من أجل تحصيل المال وتوفير الطعام. كما أن انتهاء المرحلة الدراسية الثانوية يترك الشبان من دون أي نشاط هادف إلا فيما ندر.

لِمَ إدخال برنامج "من طفل إلى طفل"؟

شهدت الأيام الأولى لبناء المخيمات ارتفاعاً كبيراً في انتشار الأمراض والوفيات. لكن ما أن انتظمت هذه المخيمات ونشطت فيها الخدمات الصحية حتى أمكن التحكم بالوضع الصحي. في هذه الحقبة، تحوّل مركز نشاط البرنامج الصحي الذي تشرف عليه منظمة غوث الأطفال من التدخل الصحي الطارئ إلى برنامج الرعاية الصحية الأولية طويل الأمد ذي الأهداف المحددة. وإلى جانب الخدمات الصحية المركزية التي يوفّرها هذا البرنامج، بدأ برنامج جديد لمساعدة المعوقين من الأطفال اللاجئين وعائلاتهم، ولدعم مجموعات اللاجئين، بغية بناء قدراتهم والترويج لاستدامة صون الصحّة. "لقد تم التشديد بشكلٍ خاص على أن يقوم اللاجئون بالقدر الأكبر من النشاطات اليومية المتصلة بإدارة ومراقبة صحة المخيم والخدمات الأخرى. فقد كُلِّف اللاجئون أنفسهم، قدر إمكانهم، مسؤولية إدارة الخدمات الصحية في مجتمعاتهم. ولقد سجلت مشاركة عالية للاجئين في مختلف مراحل البرنامج حتى الآن، وسيكون هذا النجاح أساساً لزيادة إشراكهم في التخطيط وإنجاز ومراقبة وتقييم البرامج مستقبلاً". (منظمة غوث الأطفال، التقرير السنوي - ١٩٩٦).

أوْلَى أعضاء الفريق الصحي منظمة غوث الأطفال اهتماماً خاصاً بالدور المميّز الذي لعبه الأطفال في مسألة الترويج للصحة بين اللاجئين، وهذا بمثابة اعتراف منهم بأهمية مفهوم "من طفل إلى طفل".

غير أنّ الاهتمام الأساسي بهذا المفهوم تبدى من جانب البرنامج التربوي الذي تديره

كاريتاس. فهؤلاء المعلّمون الذين عملوا في بوتان، أكانوا لاجئين أم منفيين، تعرّفوا إلى أفكار "من طفل إلى طفل" حين كانوا بعدُ في بوتان. وفي المخيمات، كان هدف البرنامج التربوي تأمين العلم لكل الأطفال والوصول في التعليم إلى مستويات عالية أرادت بلوغها المقاربة الجديدة للتعليم الابتدائي في بوتان (NAPE - new approach to primary education) لقد وافقت مفاهيم التعلم النشط في نهج "من طفل إلى طفل" مقاربات التعليم والتعلّم التي يقرّها البرنامج التعليمي الموجّه إلى اللاجئين. كما تبيّن أن أنشطة "من طفل إلى طفل" تؤمّن صلة الوصل بين التعلّم في المدرسة وبين الحياة في المخيمات، وتقدّم بنية مناسبة لإنشاء الروابط بين الأطفال داخل المدارس وفي أرجاء المخيّم. وظهر واضحاً أن الأطفال يستفيدون كثيراً من شعورهم بحسّ المسؤولية وبوجود هدف ينشدونه من خلال اشتراكهم في أنشطة مسلّية وبنّاءة داخل المدارس وخارجها. فالحياة في المخيمات قلّصت عليهم كثيراً فُرَصَ الاستراحة والأنشطة المنزلية المفيدة. فالمساحات ضيقة ومكتظة، وأماكن اللعب قليلة، كما أن الطبيعة الجغرافية تفرض قيوداً على الحياة هنا أكثر من الحياة هناك بين هضاب بوتان. ولهذا، فإن الأطفال، خارج الدوام المدرسي، يشعرون بالملل والاستياء والحاجة إلى ما يستثيرهم وما يفيدهم من نشاطات.

ورشة التدريب الأولى على برنامج "من طفل إلى طفل"

في حزيران/يونيو ١٩٩٤، تعاونت كاريتاس ومنظمة غوث الأطفال على تنظيم أول دورة تدريب على نهج "من طفل إلى طفل" بغية تدريب ١٦ معلماً و١٤ عاملاً صحياً من المخيمات السبعة. نسّق هذه الدورة مدربون ومشرفون من كاريتاس ومن منظمة غوث الأطفال، إلى جانب خبرة مستشار ومسؤول سابق كان اشترك في إدخال أفكار "من طفل إلى طفل" إلى منهج المرحلة الابتدائية حين كان في بوتان في منتصف الثمانينات. هدفت هذه الورشة إلى استكشاف وثاقة صلة أفكار "من طفل إلى طفل" بالبيئة المحلية التي يجري فيها تطبيق برنامج اللاجئين البوتانيين، والى تطوير مخططات نشاطات الأطفال في حقل تعزيز الصحة في المدرسة وفي المخيم. ولقد قام المشاركون في هذه الورشة بعملية مسح ميداني في أحد المخيمات بهدف التوصل إلى مزيد من المعلومات حول وجهات نظر الناس فيما يتعلق بالأمور التالية:

- مواضيع الصحة ذات الأولوية.
- تنمية الطفولة المبكرة.
- الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة.

❖ الأطفال الذين يحاولون تدبر حياتهم في مخيمات اللاجئين.

واستناداً إلى ما توصل إليه الأطفال، ناقش المشاركون أنشطة يقومون بها معهم، كما اختبروا وسائل تعليم مؤثرة ونشاطات تواصل إبداعية كألعاب الدمى والمسرح والألعاب وغيرها من الوسائل التي يستطيع الأطفال استخدامها للتّعبير عن أفكارهم لأطفال آخرين أو للمجتمع المحلي.

أكّدت الورشة على أهميّة المشاركة والتعلّم المشترك. وبذلك وثّقت العلاقات المهنية بين العاملين في حقلي الصحة والتربية على المستوى الميداني. حيث تبادل المشاركون المعلومات، كل بحسب حقل تخصّصه، وطوّروا طرقاً عمليةً وفاعلةً لإشراك الأطفال في تعزيز الصحة، إضافة إلى استخلاص دروس وممارسات معيارية في حقلي الصحة والتربية نتجت من أعمال الورشة.

منجزات عامي ١٩٩٤ و١٩٩٥

إثر انتهاء الورشة، عقد المشاركون اجتماعات في المخيمات بحضور المعلّمين والعاملين الصحّيين والمجلس المحلي في كل مخيّم، إلى جانب مجموعات أخرى من اللاجئين، هدفت إلى تعريف الناس إلى أفكار وأهداف برنامج "من طفل إلى طفل" وإلى استعراض مقترحات المشاركين بخصوص القيام بأنشطة داخل المخيمات.

لبدء العملية، وضع العاملون الصحّيون مخططات لدروس حول الصحة الشخصية والبيئية درّسوها في الحصص المدرسية إلى جانب مدرّسي المادة. وفي أيلول/سبتمبر ١٩٩٤، عقد اجتماعٌ متابعةٍ للورشة التدريبية من أجل وضع أسسٍ مخططٍ عملي محددٍ لإطلاق مشروعٍ رائد.

في هذه الخطوة الرائدة، تمّ اختيار الصف السادس من مدارس المخيمات السبعة على أن يكون الصف "المرشد"، والصف الثالث على أنه الصف "المتلقّي". ثم جرى وضع الخطوطُ العامة حول الصحة الشخصية وفق برنامج "من طفل إلى طفل" على يد منسقي المواد في **البرنامج**، وذلك ضمن المنهج التعليمي المعتمد. وتولّى معلّمو الصحة تدريس هذه المادة بدعمٍ من العاملين الصحيين في المجتمع المحلي.

يوضح المثال التالي كيفية تعليم المواد الصحية عن طريق المنهاج: أجرى التلامذة إحصاءات بهدف التعرّف إلى العادات الصحية في المجتمع، وأظهروا النتائج التي توصلوا إليها في رسوم بيانية. أثناء المناقشات التي واكبت هذه العملية، تطورت قدرات التلاميذ اللغوية وكذلك قدراتهم على التواصل وإيجاد الحلول لأية مشكلة تعترضهم. فمن خلال مجموعةٍ من وسائل الإيضاح المؤثرة، تعلّم تلامذة الصف السادس كيفية

مراقبة الصحة الشخصية والصحة البيئية في المنزل وضمن المجتمع المحلي، وكيفية القيام بما يناسب لتعزيزهما. وبعد ذلك، ساعد هؤلاء التلاميذ أطفال الصف الثالث على تطوير خبراتهم ورفع مستوى وعيهم.

وبدعمٍ من معلّمي الصحة والعاملين الصحيين في المخيمات، قام التلاميذ بحشد أطفال وأفراد آخرين من المجتمع المحلي للمشاركة في حملات نظافة شملت المدرسة وأرجاء كل مخيّم. كما نظّموا اجتماعات حاشدة محورها تقديم النصائح في موضوعات صحية أخرى كوسائل تجنّب الإصابة بالملاريا، كما قدّموا عروضاً مسرحية صحية في بعض المخيمات.

صعوبات: على الرغم من نجاح أنشطة المشروع الرائد في مدارس المخيمات، فقد كان واضحاً أن هذه المدارس تجد صعوبةً في دمج نشاطات برنامج "من طفل إلى طفل" في مناهجها دمجاً كلياً، خصوصاً بعدما غادر المعلمون المعنيون الذين شجعوا على هذه الخطوة. أُدرجت بعض أفكار ومواد "من طفل إلى طفل" الأساسية في سياق المواد التعليمية المتصلة باللغة والأبحاث البيئية، إلا أن الخطوات التي تشجع عملية التعلّم التبادلي بين الصفوف والتواصل بين المدرسة والمجتمع المحلي فقدت زخمها تدريجاً، حتى وصلت النشاطات المدرسية إلى حالة خمود سنعالج أسبابه بتوسعٍ فيما يلي.

لكن المهمّ في هذا الأمر كان تزامن هذا الخمود في تنفيذ البرنامج مع قيام منظمة غوث الأطفال بعملية إعادة تحديد هدفها الاستراتيجي وذلك بالانتقال من مرحلة البرامج الصحية إلى مرحلة الاهتمام الأوسع بحقوق الأطفال. من هذا المنطلق، اهتمت هذه المنظمة بمفاهيم "من طفل إلى طفل" من دون أن يقتصر ذلك الاهتمام على اعتبار البرنامج طريقةً لإشراك الأطفال في تعزيز الصحة فقط، بل وسيلةً لدفع حقوق الأطفال إلى الأمام من خلال التأكيد على أهميّة إشراكهم في تحديد حاجاتهم واتخاذ قراراتهم في أمور تمسّ حياتهم. من هنا كان الزخم الأساسي لمبادرة "من طفل إلى طفل" في المخيّمات بعد العام ١٩٩٥ من جانب فريق عمل منظمة غوث الأطفال.

تقييم البرنامج الصحي للاجئين

حين أجرت منظّمة غوث الأطفال تقييماً شاملاً للبرنامج الصحي في نهاية العام ١٩٩٥، اعتمد فريقها عملية واسعة النطاق ساهمت فيها مجموعات مختلفة من اللاجئين من بينهم التلاميذ. حدّد ممثلو هؤلاء التلاميذ مشكلاتهم وحاجاتهم الصحية التي تضمنت إصابتهم بالديدان المعوية وبالجروح الطفيفة، واضطرارهم الانتظار في صفوفٍ طويلة أمام العيادة الصحية المتأخرة دوماً، إلى جانب ضعف الوعي الصحي.

بناءً على هذه المحصّلة، قررت منظمة غوث الأطفال وضع برنامج صحي مدرسي يتضمن ما يلي:

- عيادات لفحص الطلاب دورياً.
- تقديم الإسعافات الأولية في المدارس.
- صفوف التثقيف الصحي في المدارس، إلى جانب نشاطات أخرى كالمسابقات والعروض المسرحية والاجتماعات الهادفة.
- فحوص للبراز بغية استكشاف حالات الإصابة بديدان الأمعاء.

أدار المشرفون والعاملون الصحيون في المخيمات هذه الأنشطة جنباً إلى جنب مع المعلمين وممثلي التلاميذ، وقاموا بالتدريبات كما ينبغي. ولقد أظهر المسحُ الصحي الذي اعتمد الفحوص المخبرية للبراز إصابة أكثر من ٣٠٪ من التلاميذ بديدان الأمعاء. كان هذا المسحُ هو الأول من نوعه، إذ لم يكن الأمر ضرورياً في السابق نظراً لما كانت تتمتّع به المخيّمات من أوضاع صحية وبيئية جيّدة.
وهكذا نجد أن هذه العملية صورت تصويراً حقيقياً قيمة مساهمة الأطفال في اتخاذ القرار ضمن نشاطات البرنامج. ونتيجة لما حصل، قامت منظمة غوث الأطفال بحملة صحية واسعة النطاق طالت كل أطفال المدارس بغية علاجهم من ديدان الأمعاء.

تقدير الحاجات وتحليلها في برنامج منظمة غوث الأطفال

بعيداً من حاجات أطفال اللاجئين التربوية والصحية، واجه هؤلاء مشكلات بسبب غياب برنامج محدد موجّه إليهم. إثر تحول منظمة غوث الأطفال إلى الاهتمام بحقوق هؤلاء الأطفال، أعربت عن نيّتها تطوير برنامج موجّه إليهم في المخيمات، وبدأت في ذلك فعلاً من طريق تنظيم ورشة عمل، بالتعاون مع وحدة الحماية التابعة لمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR)، غايتها رفع مستوى الوعي وإدارة النقاش حول معاهدة حقوق الطفل. شارك في هذه الورشة مسؤولون من هيئات مختلفة عاملة في برنامج اللاجئين، إلى جانب مشرفين من مخيم الحكومة النيبالية ومراقبين من مخيم لجنة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. دار النقاش مع أطفال توزّعوا في ثلاث مجموعات وفق أعمارهم، قاموا بتحديد مشكلاتهم وحاجاتهم (الإطار٢)، وملاحظة أسبابها وتصوير الحياة في المخيم كما يتمنون أن تكون، واقتراح سبل المعالجة المطلوبة. اعتُمِدَت نتائج هذا النقاش أساساً لتصميم خطة عملٍ ضمن برنامج الأطفال التابع لمنظمة غوث الأطفال في العام ١٩٩٧.

إطار ٢

مشكلات وحاجات حددها الأطفال

أطفال بين ثلاث سنوات وستّ سنوات:

- يتعرض الأطفال للضرب عند طلبهم الطعام، وعند عودتهم من اللعب في ساعة متأخرة وجرّاء لعبهم في مواقع خطرة وغير صحية.
- يلعب الأطفال في أمكنة قذرة بسبب غياب الأماكن الصحية والأمكنة المخصصة للّعب.
- لا يرسل بعض الأهالي أبناءهم الذين بلغوا سن الدراسة إلى المدرسة.

أطفال بين سبع سنوات وعشر سنوات:

- عمالة الأطفال (تكسير الحجارة، نقل الحطب، العمل في الحقول) بغية تحصيل المال لسدّ حاجات العائلة.
- الحاجة إلى تسهيلات أفضل وخصوصاً إلى مصادر كافية من الماء لتجنب الأمراض السارية.
- الاتجار بالفتيات (سُجّلت بعض حوادث اختطاف فتيات من المخيمات).
- غياب كل فرص المساهمة في اتخاذ القرارات داخل العائلات.
- التمييز ضد الإناث: إجبارهن على العمل في المنزل بعد المدرسة بينما يُصرف الذكور للّعب؛ وإجبارهنّ على المكوث في المنزل بدلاً من الذهاب إلى المدرسة في حال حصول أية مشكلة منزلية.
- الانقطاع عن الدراسة، وخصوصاً الإناث، بسبب غياب المثابرة على حضور الدروس للانصراف إلى الأعمال المنزلية. كما تعاني الفتيات من عدم حصولهن على الفوط الصحية.
- غياب المواد التي يحتاجونها يومياً كفراشي الأسنان والفوط والوقود للقناديل التي يساعد نورها في الدراسة الليلية.
- العقاب اللفظي والجسدي في المدرسة: وينتج هذا العقاب عامةً من عجز الأطفال عن إنهاء وظائفهم بسبب نقص الوقود في القناديل أو انزعاجهم من السكارى الذين يتجوّلون ليلاً في المخيمات.

أطفال بين الحادية عشرة والسادسة عشرة:

- غياب النظام الغذائي المتوازن.
- انزعاجهم من السكارى الذين يقلقون نومهم ويقاطعون دراستهم الليلية.
- أطفال معوّقون يُهملهم ذووهم.
- الزواج المبكر وخصوصاً للإناث.
- غياب النشاطات اللامنهجيّة لانشغالهم بعد الدوام المدرسي.

أثناء تحليل نتائج هذا البحث، استُنبطَت سلسلةٌ من النشاطات لصالح برنامج منظمة غوث الأطفال محورها رفع مستوى وعي الأطفال حقوقهم والبحث في مسائل الوقاية والحماية خصوصاً عند التطرق لمسائل سوء معاملة الأطفال وعمالتهم والاتِّجار بالفتيات، بالإضافة إلى برنامج موجّه إلى صفوف الحضانة والأطفال المعوّقين.

جليٌّ جداً أن الأولاد الأكبر سناً عبّروا بأفكار بنّاءة عن تدابير فاعلة يودّون اتخاذها، لقد طلبوا أن يكون لهم مكان، في المدرسة أو خارجها، لاجتماعهم، كما توضّحت حاجتهم إلى نشاط إضافي لامنهجي خارج المدرسة ليشغلوا به أوقاتهم. هكذا ولدت فكرة إنشاء نادي و/أو منتدى للأطفال. إن نهج "من طفل إلى طفل" قادرٌ على تأمين الوسائل الكفيلة بتمكين الأطفال من المشاركة في تصنيف حاجاتهم بحسب أولوياتها، وفي تحليلها واتّخاذ القرارات المناسبة بشأنها. ولهذا قررت منظمة غوث الأطفال الشروع في مراجعة مبادرة "من طفل إلى طفل" المطبقة في المدارس منذ أواخر العام ١٩٩٤.

المراجعة التشاركية لنشاطات برنامج "من طفل إلى طفل"

عقدت منظمة غوث الأطفال حلقات نقاش مركز مع مجموعات من الطلاّب والمعلمين والعاملين الصحيين في كلّ مخيّم. خلال هذه المناقشات، عبّر المشاركون عن وجهات نظرهم بخصوص الإنجازات والمسائل والمشكلات المتصلة ببرنامج "من طفل إلى طفل" وبنشاطات صحية مدرسيّة أخرى، وأوصوا بتفعيل المبادرة (الإطار ٣).

إطار ٣

آراء في مبادرة "من طفل إلى طفل" في المخيمات

ملاحظات الطلاّب حول إنجازات "من طفل إلى طفل":

- جنّد التلاميذُ تلاميذاً آخرين ونظّموا حملات تنظيف ساهمت في زيادة نظافة المدرسة والبيئة المحلّية.
- ازداد الوعي الصحيُّ لدى هؤلاء الأطفال، ما أدى إلى انخفاض عدد حالات الإصابة بالأمراض السارية.
- أدرك الطلاب أهمية قدرات الأطفال وإمكاناتهم التي يستطيعون المساهمة بها في المدرسة والمجتمع المحلّي.
- بَنَت أنشطة "من طفل إلى طفل" علاقة أفضل بين الأطفال وأهاليهم.

- ساعد هذا البرنامج على ترسيخ روح العمل الجماعي بين التلاميذ.
- التلاميذ توّاقون إلى تكرار مبادرة "من طفل إلى طفل" التي وجدوها مفيدة "وممتعة".

ملاحظات المعلمين والعاملين الصحيين حول إنجازات برنامج "من طفل إلى طفل":

- أكّد هذا البرنامج على أهميّة مشاركة الأطفال في الترويج للسلامة الصحية.
- اهتم الأطفال بهذا البرنامج ونشطوا من خلاله.
- ساعد هذا البرنامج الأطفال في تلقّيهم العلم بسرعة وفاعلية.
- إنه طريقةٌ جيدةٌ للتعامل مع المواضيع الصحية والمتعلقة بالنظافة في المنهج.
- شجّع الأطفال على تحسين ممارساتهم الصحية الشخصية.

مشكلات مبادرة "من طفل إلى طفل" كما حدّدها المعلمون والعاملون الصحيون:

- ارتداد المعلمين السريع عن البرنامج (مغادرة المتدربين الجدد مدارس المخيمات بحثاً عن عمل ذي مردودٍ مادّي أكبر في النيبال) مما يؤثّر سلباً على استمرارية النشاطات.
- لم يتمّ إدراج نشاطات "من طفل إلى طفل" تماماً في سياق الجدول المدرسي بسبب كثافة المنهاج.
- وجد المعلمون نشاطات البرنامج فاعلةً لكنها تستهلك وقتاً طويلاً. المشروع لم يدرس إمكانات الإفادة من الوقت خارج الدوام المدرسي. كما أن العاملين الصحيين في المجتمع المحلي ليس لديهم الوقت الكافي بسبب المسؤوليات الأخرى الضاغطة.
- لم يشارك منسقو البرنامج في التدريب الأساسي، ولهذا لم يشعروا بأنهم جزء من مبادرة "من طفل إلى طفل"، مما أدّى إلى انقطاعٍ واضحٍ في التواصل بينهم وبين المعلم الصحّي.
- لم يتمّ التمييز الواضح بين مسؤوليات فريق كاريتاس التربوي وفريق منظمة غوث الأطفال الصحّي. وأدّى هذا، مع مرور الزمن، إلى ضعف التنسيق وغياب الهدف المركزي الذي تسعى المبادرة إلى تحقيقه.
- لم كن ثمّة نادٍ للأطفال يتشاركون فيه التقييم والتخطيط لاحتياجاتهم.
- احتوى المشروع الرائد على مخططات عمل مفصّلة من دون أن يحدد إطاراً زمنياً واضحاً يتم خلاله تنفيذ هذه المخططات وتقييمها ومتابعتها.
- غابت كل التجهيزات التي توفر المواد المناسبة لتطبيق نشاطات برنامج "من طفل إلى طفل".

توصيات لتطوير برنامج "من طفل إلى طفل" في مخيمات اللاجئين

نتيجة لهذا البحث، ناقش فريق منظمة غوث الأطفال مع المعلمين والمنسقين والأطفال والعاملين الصحيين وأعضاء من المجتمع المحلي إمكانات تطوير المبادرة، وخرجوا بالتوصيات التالية:

- يجب استئناف أنشطة "من طفل إلى طفل" وتفعيلها.
- يجب تطبيق هذه المبادرة في المدرسة وفي المجتمع المحلي، وأن لا يقتصر تطبيقها على موقع واحد.
- يجب إنشاء منتديات الأطفال في المدارس وفي المجتمع المحلي، وعلى فريق التنشيط في منظمة غوث الأطفال والمعلمين وممثلي المجتمع المحلي تسهيل هذه العملية من خلال تعاونهم مع الأطفال.
- يجب إشراك الأطفال أكثر في اتخاذ القرارات وفي تحليل مشكلاتهم ووضع الخطط وتنفيذها بمساعدة مسؤولين في منظمة غوث الأطفال والمدرسة والمجتمع المحلي.
- يجب الاستمرار في عقد ورش عمل قصيرة ودوريّة لمنسقي البرنامج للتأكد من أنهم مرتبطون بهذه المبادرة ويشعرون بالمسؤولية تجاهها.
- يجب تأمين تنسيق أفضل بين الهيئات المختلفة كما بين الإدارة والمخيم. إنهامسؤولية منسّق برنامج الأطفال في منظمة غوث الأطفال.
- على مبادرة "من طفل إلى طفل" أن توسِّع دائرة اهتمامها إلى جانب المسائل الصحية، لتشمل مباحث في:
  - مشكلات الأطفال العامة وفي أساليب تربية الطفل.
  - المسائل الصحية العامة.
  - حقوق الأطفال.
  - إنماء الطفولة المبكرة.
  - دعم الأطفال المعوّقين وإشراكهم في النشاطات.
- يجب إطلاق ورشة تدريب أخرى ضمن برنامج الأطفال تشمل العاملين الصحيين والمعلمين والتلاميذ.

يمكن أن يستفاد من هذه الورشة في تسليط الأضواء على نتائج الجهود المبذولة طوال سنتين ونصف، وفي توجيه مبادرة "من طفل إلى طفل" توجيهاً جديداً ليلبّي حاجات آنيّة. كما أن مغادرة بعض المعلمين، الذين تلقوا تدريباً في ورشة العام ١٩٩٤، المخيمات بحثاً عن عمل تعليميٍّ مجدٍ مالياً، ولّدت حاجةً إلى ورشة لتدريب مجموعة جديدة من المعلمين على نهج "من طفل إلى طفل"

ورشة التدريب الثانية على نهج "من طفل إلى طفل": نيسان/أبريل ١٩٩٧

قبل الانطلاق في هذه الورشة، عُقِدَ اجتماع توجيهي ضمّ منسّقي البرنامج والمشرفين الصحيين من أجل الوقوف على آرائهم في مبادرة "من طفل إلى طفل" ولإطلاعهم على خلاصات البحث الذي قامت به منظمة غوث الأطفال. أثار هذا اللقاء مناقشةً حيةً وبنّاءةً، إذ جرى خلاله تزويد هؤلاء المحترفين بلائحة المشكلات التي أشار إليها الأطفال أنفسهم، وسؤالهم عن كيفية تعبئة المدارس والبرنامج الصحي وتجمعات اللاجئين في المخيمات من أجل التوصل إلى حلّ هذه المشكلات وتلبية حاجات الأطفال.

نظّمت منظمة غوث الأطفال ورشة التدريب الثانية وموّلتها بالتعاون مع منشط مكلّف من جمعيّة "من طفل إلى طفل". اشترك في هذه الورشة التدريبية ٣٥ مشاركاً من التلاميذ والمعلمين والعاملين في برامج الأطفال والعاملين الصحيين والعاملين ضمن برنامج الأطفال المعوّقين. ثلاثةٌ من هؤلاء، فضلاً عن ذلك المنشط، كانوا جزءاً من فريق العمل المشارك في ورشة العمل التي عقدت في العام ١٩٩٤.

تلخّصت أهداف الورشة في ما يلي:

١. إنماء قدرات المشاركين على اعتماد نهج "من طفل إلى طفل" ليتمكّنوا من تبادل الأفكار مع آخرين في مدارس المخيم والمجتمع المحليّ.
٢. تحليل مشكلات الأطفال وحاجاتهم في المخيمات وتحديد سُبُل دفع الأطفال إلى المساهمة في التعبير عن هذه الحاجات عبر نهج "من طفل إلى طفل".
٣. تحديد كيفية إدراج نهج "من طفل إلى طفل" ودعمه في النشاطات التي تهدف إلى تعزيز السلامة الصحية والصحة البيئية وإعادة التأهيل المجتمعي والوصول إلى حقوق الأطفال.
٤. تطوير وسائل ومخططات بسيطة يتمُّ اعتمادها في مراقبة نشاطات "من طفل إلى طفل" وتقييمها بمشاركة الأطفال والمجتمع المحلّي.
٥. تطوير مخططات فاعلة لنشاطات "من طفل إلى طفل" مبنية على التشاور مع الأطفال والمجتمع المحلي، بدعمٍ من عاملي منظمة غوث الأطفال وكاريتاس.
٦. تحديد نوعيّة النشاطات التي يمكن أن يقوم بها الأطفال ضمن برنامج "من طفل إلى طفل" في النادي أو في المنتدى.

اعتمدت الورشة على عملية تشاركية عزّزت التعلّم المتبادل بين المشاركين، أطفالٍ وراشدين من جهة، وبين فريقي العمل التربوي والصحّي من جهة أخرى. وجرى النظر بصورة عمليّة إلى الدروس المستخلصة وتجربة السنوات السابقة وإلى الفرص المتاحة والعقبات التي تحد من تطور نشاطات برنامج "من طفل إلى طفل" في المخيمات.

تركّزت المناقشات على تأكيد اشتراك الأطفال في قلب عملية اتخاذ القرار، وهذا الأمر يتطلّب من الراشدين دوراً مسهّلاً لا دوراً موجّهاً. كما توافق الجميع على أنه من الأسهل استكشاف الديناميات المحركة لعملية مشاركة الأطفال خارج غرفة الدّرس وقيودها، وذلك في المرحلة الأولى على الأقل.

ولهذا، سيتم إنشاء منتدى واحد للأطفال في كل مخيم، على أن يكون خارج المدرسة، بدعمٍ من فريق عمل برنامج الأطفال التابع لمنظمة غوث الأطفال. وقرّر المشاركون أن تكون البداية متواضعة على أن تتوسع شبكة برنامج "من طفل إلى طفل" في المخيمات معتمدةً على أسسٍ تترسّخ مع التجربة.

همٌّ آخر شغل المشتركين، الذين أبدى بعضهم تخوفات من تورط منتديات الأطفال هذه في نشاط سياسي. فحياةُ الكبتِ في المخيّمات وغيابُ أيّة آفاق مستقبلية أمام التلاميذ بعد إنهائهم التعليم المدرسي يجعلان هؤلاء الأولاد عُرضةً سهلةً للتأثيرات والتلاعبات الفكرية. وهذا الأمر كان السبب الثاني، إلى جانب نقص الخبرة، وراء منطق البدء بتنفيذ فكرة المنتديات ضمن إطار ضيّق، وذلك بغية إقناع جماعات اللاجئين بفوائد إشراك الأطفال والمراهقين في نشاطات بنّاءة، وبأن ذلك لا يعني أبداً تنازل الراشدين عن مسؤوليتهم في توجيه الأطفال. والمثال العملي على هذه الفكر برز خلال أعمال الورشة، إذ أرادت إحدى مجموعات الأطفال طرح مسألة عمالة الأطفال لتكون في أول سلّم المشكلات الواجب معالجتها (أي حق الأطفال في رفض العمل). وبعد تفكير مليّ، اعتبر المشاركون أنّ هذا الموضوع قد يؤدي إلى اصطدامٍ مبكرٍ بالأهالي ومن الأفضل، في البداية، معالجة مسائل أقل صداميّة تتعلق بحاجةٍ مشتركةٍ بين الأطفال والراشدين على السواء بغية اكتساب ثقة مجتمع اللاجئين المحلّي.

خاتمة

مع تأسيس برنامج الأطفال التّابع لمنظمة غوث الأطفال، الذي يهتم بصورةٍ خاصة في إشراك الأطفال في عملية اتخاذ القرارات، انكبّت مبادرة "من طفل إلى طفل" في مخيمات اللاجئين على تسهيل أنشطة الأطفال وتنسيقها. إن البنى المنظّمة ومجموعات الاتصال في مخيمات اللاجئين تفتح الطريق أمام استمرار برنامج "من طفل إلى طفل". وعلى الرغم من أن البرنامج المدرسي لا يتسع زمنياً ومنهجياً لاختبار أي تجديد، فإنّ الساعات خارج الدوام مفتوحة أمام إسهام الأطفال في الأنشطة. والأطفال أنفسهم عبّروا بوضوح عن خيبتهم من قلّة الأمكنة المتوافرة والتسهيلات المناسبة لمشاركتهم في أنشطة بعد الدوام المدرسي. هنا سيكون دور "من طفل إلى طفل" في تأمين متنفّس

إيجابي للأطفال، عبر إقامة منتديات تزوّدهم بقدرات على حل المشكلات واتخاذ القرارات والتواصل التي سيحتاجون إليها في إطار تعاملهم مع الحرمان الجسماني والنفسي الذي تفرضه حياة اللاجئين، ومع تحديات انتظار العودة إلى الوطن بوتان.
وهي تحديات ستبرز إلى العلن يوماً ما.
سيؤدّي وجود اللاجئين في هذه المخيمات إلى انحلال بنى عائلية ومجتمعية، ولهذا يُرى في أنشطة "من طفل إلى طفل" قدرتها على تأمين شعور الاتحاد الجماعي في بيئة غير مستقرة من طريق التواصل بين طفلٍ وآخر ومجموعات أطفال بأخرى.
لم يصل من اللاجئين البوتانيين إلى النيبال أطفالٌ من دون أهلهم. لكن حيث يحصل ذلك، يمكن للعلاقات التي تبنى من خلال نهج "من طفل إلى طفل" تأمين بعض الرعاية ومنح الأطفال شعوراً بالانتماء العائلي.
هزّ انحلال البنى القديمة أسس القيم والمواقف التقليدية. فالنساء في مخيّمات اللاجئين البوتانيين يؤكّدن على تطوّر ثقتهن بأنفسهن ودورهن في العائلة والمجتمع المحلّي أثناء هذه الهجرة القسرية. فقد اشتركت الأمّيات منهنّ في دورات محو الأمية وأطلقن اللجان النسائية وتكاتفن في أنشطة منتجة، و قد تعاونّ سويةً لصدّ العنف الموجّه ضدّهن. وفيما يتصل بأنشطة "من طفل إلى طفل"، يمكن تعزيز هذه النظرة الجديدة إلى النساء من طريق التركيز الخاص على إنماء الفتيات. إن التحوّل الاجتماعي السريع لذي شهدته جماعات اللاجئين يفسح المجال أمام فرص التبدّل الإيجابي، لكنه في الوقت نفسه يضع الأطفال والشباب في مهب ريح المجتمع من دون أن يهبهم شعوراً واضحاً بقيمتهم وبأهمية دورهم في إطار الجماعات التي ينتمون إليها.
إنّ مبادرة "من طفل إلى طفل"، بتركيزها على المهارات الحياتية، تؤمّن وسيلة لتمكين الأطفال من تنمية دور بنّاء واعتناق قيم إيجابية. في هذه العملية، دور الأهل مهمٌّ جداً إذ غالباً ما يشعر هؤلاء بأنهم مهدّدون فعلاً جرّاء التبدّل السريع. ولهذا، سعت مبادرة "من طفل إلى طفل" حثيثةً إلى العمل ضمن العائلات، وتشاركت مع الأهل في توجيه الأنشطة، الأمر الذي عاد بالنفع على مجتمع اللاجئين المحلّي كلّه.

صحة البيئة باستخدام نهج من طفل إلى طفل - الضفة الغربية وقطاع غزة

جوليا جيلكس*

مقدّمة

في ربيع العام ١٩٩٦، أصابت الدهشة سكان نابلس عندما رأوا على شاشة التلفزيون بنات المدارس المحلية جالسات مع رئيس البلدية في مكتبه يناقشنه في أمور بيئية تهمّهنّ، فاهتموا بما رأوا. ولاحظوا أنّ البنات يطرحن الأسئلة ويناقشن التحديات والعقبات ويقدمن الحلول في مسائل النفايات والتلوّث والانحلال المديني، كل ذلك وهنّ يُدرن المقابلة وينظّمنها بعد أن تحضّرن مُسبقاً وعَرَفن المواضيع الأساسيّة التي يجب مناقشتها وطرحها.

وضعت كل الفتيات شارات معدنية على صدورهن حفرت عليها علامة خاصّة اعتمدتها سريعاً الجماعات المحلّيّة في البلدة كما اعتمدها اللاجئون في المخيمات وأهالي القرى المجاورة، لاحقاً. لقد كانت العلامة مؤلفة من شعار "من طفل إلى طفل" وشعار لجنة البيئة في نابلس: كفّان مُحيطان بشجرة زيتون تحت الشمس على خلفية زرقاء تمثل البحر. وقد أبرز التلفزيون هذا الشعار كلما تطرّق إلى دور الأطفال في الحملة البيئيّة، كما ظهر في الرسوم والملصقات التي صمّمها الأطفال لتُعلَّق على الجدران والنوافذ وحافلات النقل العام والمدارس والمكتبات والأبنية الرسمية، وطُبِعَ على استمارات الاستفتاءات والقرطاسية والرايات المرفوعة في المظاهرات في الشوارع وكل الموارد التي يصمّمها أطفال من الذكور والإناث تتراوح أعمارهم بين ٦ و١٤ سنة، وهي موارد تتضمّن روزنامات وأغلفة لكتب التمارين والقصص ولوحٍ للأطفال، بالإضافة إلى شريط تسجيل فيه أغنيات تتناول مواضيع بيئية.

توطئة

في أواخر العام ١٩٩٥، انسحب الجيش الإسرائيلي من مدينة نابلس لكي تستقل هذه المدينة وتنضمّ إلى أريحا وغزة في الدخول تحت لواء السلطة الفلسطينية. والاستقلال

* جوليا جيلكس مستشارة ومدرّبة في إطار تنمية الطفولة المبكرة وبرنامج التنمية التابع لمنظمة غوث الأطفال في المملكة المتّحدة. اكتسبت تجربة واسعة في هذا المجال خلال سنوات عديدة أمضتها في العالم العربي. مقرّها الحالي في قبرص، وقد انتدبتها منظمة غوث الأطفال للعمل مع ورشة الموارد العربية على المشاركة في تطوير دليل شامل للطفولة المبكرة.

هذا قدّم لأهالي نابلس فرصةً لإعادة إعمار المدينة وإصلاح ما أفسدته ثلاثون سنة من الحرمان المزمن تحت الاحتلال العسكري.

لقد نشطت منظمتا غوث الأطفال الأميركية والبريطانية في الضفة الغربية وقطاع غزة لسنوات عديدة، وانصبّ نشاطهما في إطار تطوير مقاربة مجتمعية محلية للنموّ البيئي ولتحسين مستوى النظافة ونقاء الماء، وفي دعم الجمعيات المحلية غير الرسمية ووكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، إلى جانب تقديم سلسلة من البرامج الخاصة بالطفل لدُور الحضانة والمدارس وأنشطة للأندية بعد انتهاء الدوام المدرسي وللمخيمات الصيفية. بات يمكن الآن توسيع حدود الشراكة التي تجمع منظمة غوث الأطفال والمجموعات الأهلية المحلّية لتضمّ الوزارات المختلفة والمجلس البلديّ المحلّيّ.

خلال النصف الأول من العام ١٩٩٦، بقيت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على تدهورها وعنفها، فمعدل البطالة المزمنة يقارب ٣٠ ٪، والناتج القومي هبط إلى ما بين ١٠ و١٢٪، كما هبط المعدل العام للدخل الفردي بنسبة الثلث.

وخلال فترة التبدّل السياسي والانتقال من حقبة الاحتلال العسكري إلى حقبة الاستقلال الفلسطيني في بعض المناطق، المحاصرة بالأرياف المحتلّة والمستوطنات اليهودية المتكاثرة، بدأ اشتراك أطفال نابلس في برنامج "من طفل إلى طفل" الأول الذي أُطلق في المدارس والأندية، ليتبعهم بعد ذلك أطفال في حي الزيتون - وسط غزّة.

تطوير الموارد المائية، النظافة والصحّة البيئية في شمال الضفة الغربية وفي مدينة غزة

كان في صندوق منظمة غوث الأطفال اعتمادات مرصودة لتمويل عملية التنمية في غزة ونابلس. يركّز هذا التقرير، في الدرجة الأولى، على البرنامج العام الذي نُفِّذَ خلال عامي ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦ بغية إجراء التحسينات في البنية التحتيّة الموجودة في مواقع محدّدة في المناطق الأكثر فقراً في نابلس، والتي تضمّ بعض مخيمات اللاجئين وبعض القرى المجاورة. إنَّ ما استُخلِصَ من تقييم هذا البرنامج، ومن المشروع الذي نفّذ في غزة، يشكل أساساً متيناً للخطة الجديدة التي تقرر تنفيذها في العام ١٩٩٧، بدأت الجمعيات المحلية والمنظمات غير الحكومية والمموّلون والسلطة الفلسطينية، بالاشتراك مع منظمتي غوث الأطفال الأميركية والبريطانية، التخطيط لتحسينات حيويّة.

تمحور العمل في نابلس حول أربعة أنشطة: تحسين الموارد المائية، والصّرف الصّحّي، وصرف النفايات الصلبة، ورفع مستوى الوعي الصحي البيئي. ونتيجة سياسة منظمة

غوث الأطفال القائمة على إشراك النساء والأطفال في إنماء البرنامج وتطويره، صارت هذه المجموعات بمثابة شركاء ناشطين في المشاريع التي تنطلق ضمن جماعاتها. وفي بلد طال أمد رزوحه تحت الاحتلال، يكون مهماً إظهار التأييد الذي تحظى به هكذا مشاريع من طريق مساهمة المجتمعات المحلّية والمستفيدين في كل ما يتعلق بالمشاريع من تخطيط وتصميم وإنجاز ومراقبة وتقييم.

كان المخطط الأصلي يقضي بإشراك الأطفال في حملة لرفع مستوى الوعي هدفها تحسين حالة الصحّة البيئيّة في المدارس والمجتمعات المحلّية. فالانسحاب العسكري جعل زيارة منطمة غوث الأطفال وشركاء من وزارة التربية الفلسطينية لهذه المنطقة أمراً ممكناً. وعندما تبيّن أن التقديمات الصحيّة والنظافة غير متوفرة، جرى توسيع المشروع ليضمّ إصلاح هذه التقديمات وتطويرها بغية الاستفادة من الحملة حتى الحدود القصوى.

استخدام نهج "من طفل إلى طفل" في الصحة البيئيّة

كان المشروع مجدِّداً من نواحٍ عديدة:

- دفع الأطفال ليكونوا ناشطين في عملية تطوير الهدف المركزي الذي تسعى إليه الحملة من خلال مساهمات إيجابية يقدمونها في سبيل وضعٍ صحيّ أفضل في مدارسهم ومنازلهم وفي مجتمعاتهم المحلّية.
- من خلال "من طفل إلى طفل"، يمكن وضع المواقف تجاه الأطفال على المحكّ. فعبر مشاركتهم في الأنشطة، أظهر هؤلاء الأطفال قدرتهم على التفكير الإبداعي وعلى التوصل للحلول المطلبة، كما برهنوا عن ثقة بالنفس واحترامٍ للذات متزايدين وعن متعة يجدونها في تحصيل المعرفة وكذلك عن حسٍّ بان جلياً في التعبير عمّا تعلّموه بطرقٍ فنّية ومسرحيّة وموسيقيّة. فضلاً عن كل ذلك، ظهر واضحاً مستوى نضجهم عندما عالجوا بعض المشكلات العسيرة الطارئة داخل المجتمعات المحلّية.
- أفسح المجال أمام الأطفال ليصل صوتهم إلى المجتمع الذي نادراً ما يُقرُّ إشراك الأطفال في عملية اتخاذ القرارات، وقد تطلّب ذلك خططاً كان مجرد التفكير فيها صعباً في ظل الاحتلال العسكري. والخطط هذه تتضمّنُ شراكة رئيسية مع الأقنية الجديدة في الإرسال الإعلامي المرئي والمسموع، وتغييرات في الأنشطة المدرسية وفي العلاقة مع المعلّمين، ولجنة بيئية منبثقة من المجتمع المحلي لتعمل من خلال إبراز العوائق كلها وتأمين نجاح هذه التغييرات.
- فتحت الشراكة التي قامت بين السلطة الفلسطينية والمجلس البلدي المحلّي

والمنظمات المحلية غير الحكومية والمؤسّسات الأكاديميّة والمجموعات النسائية والأطفال أنفسهم وبين منظمة دولية، فتحت الطريق على عملٍ جماعي لإيجاد مقاربة أكثر ديمقراطية لتنمية مستدامة من خلال إشراكِ النساء والأطفال في اتخاذ القرار.

- عمّق المشروع النقاش حول الحاجة إلى توجّه جديد للمنهاج التعليمي في فلسطين عبر إدخال آليّات إضافية للتعلّم النشط وتغييرات في التدريب الذي يخضع له المعلّمون وتثبيت الصلات الوثيقة بين المدرسة والمجتمع المحلي، كما سلّط الأضواء على النظرة الشمولية الضرورية الكامنة في قدرة الأطفال على التعلّم.

تخطيط المشروع

أ. اللجنة التوجيهية: تشرين الأول/أكتوبر. كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٥

انبثقت اللجنة التوجيهية إثر اجتماع توجيهي ضمّ جمعاً كبيراً من الشركاء المحتملين العاملين مع الأطفال في القطاعات الرسمية وغير الرسمية، ومع المنظمات البيئيّة المنشأة حديثاً بهدف رفع مستوى الوعي للأخطار المحتملة على المجتمع بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي، ومع إعلاميين وأكاديميين.

اعتمدت المساواة في تمثيل النساء والرجال في اللجنة التي تولّت مسؤولية الإشراف على:

- الميزانية والتمويل المرصود من الإدارة البريطانية للتنمية الخارجية ومن المجتمع المحلّي.
- تدريب المعلّمين والمشرفين على نهج "من طفل إلى طفل".
- تحسين مستوى التقديمات الصحّية في المدارس.
- تحويل مكبّات النفايات إلى مساحات عامة خضراء.
- الترويج لحملات الصحة البيئيّة، وتشجيعها.

كان نجاح اللجنة في مسعاها أساساً لتنفيذ المشروع، لكن طرأت بعض المشكلات الأوليّة. فالوضع الاقتصادي المتدهور دفع بعض المنظمات إلى الانسحاب إذ شعرت بالعجز عن الاستمرار في بذل الجهود الطوعية غير المدفوعة. ولم تسلّم منظمات أخرى بوجوب إنجاز ما التزمته خلال وقت محدد أثناء ساعات العمل اليومية وبالتالي عدم تحميل فريق العمل أية مسؤوليات إضافية بعد يومِ عملٍ مُجهد (وهذه مشكلةٌ تتعلّق بالنساء اللواتي يتحملن مسؤوليات جسام في إطار التدبير المنزلي والعناية بالأطفال). إلى ذلك يُضاف توقّع متابعة العمل في لقاءات شهرية يتمّ فيها مراقبة التقدم الحاصل وحل المشكلات الطارئة.

عولج هذا الأمر من طريق تجنيد منسّقتين من "مجموعة برنامج تنمية الطفولة المبكرة" تطوّعتا من دون مقابل ونالتا رضى المدارس والمجموعات المجاورة. تحدد دور هاتين المنسّقتين في زيارة الراشدين والأطفال والعمل معاً لمعالجة المشكلات والتشارك في التجربة مع الشركاء الآخرين ورفع التقارير إلى اللجنة التوجيهية.

ب. المشرفون على المشروع

أشرفت المنسّقتان المذكورتان آنفاً، إلى جانب مفتشٍ مدرسي وأستاذ جامعي، على المشروع، وراقبوا جميعاً تطور العمل. كما كُلِّفت المنسقتان مهام الطواف في القرى وزيارة اللجان المجاورة والتنسيق مع محطة التلفزيون ورفع التقارير إلى اللّجنة التوجيهية وشراء المواد اللازمة وتوزيعها والعمل مع الأطفال والمعلّمين.

إن حافز المنسّقتين والتزامهما، مدعومان من مكتب منظمة غوث الأطفال في نابلس واللجنة التوجيهية، ساهما مساهمةً جليلةً في إنجاح المشروع. وقد كانتا تتمتّعان بقدرٍ كبيرٍ من الخبرة في الإشراف على مشاريع "الطفولة المبكرة" والاطلاع على طرق التعلّم المفتوح من خلال اللعب والاستكشاف، وعلى كيفية بناء فريق من المعلّمين، وعلى وسائل إشراك الأهالي والمجتمع المحلّي في ورش العمل.

ج. المشاركون في المشروع: المدارس والمجتمعات المحلّية والأطفال

اختارت اللجنة المناطق التي سينفّذ فيها المشروع بعد بحث مكثّف مع الوزارات المختلفة والبلديّات ومنسّقي منظمة غوث الأطفال. وقع الاختيار على ثماني مدارس في المدينة بينها مدرستان في مخيمات اللاّجئين، فكانت ست مدارس للبنات ومدرستان للبنين. كما شاركت خمسة أندية مجاورة، ناديان مختلطان وآخران للذكور وخامس للإناث. إلى ذلك، شارك ٤٤٤ طفل بينهم ٣٠٤ من الإناث و١٤٠ ذكراً. وخلال الإجازة الصيفيّة، انطلقت أنشطة "من طفل إلى طفل" في ستة مخيمات صيفيّة ضمّت ٣٥٠ طفلاً إضافياً.

اضطرت بعض المدارس إلى الانسحاب من هذا المشروع بسبب متطلبات المناهج التي تعتمدها وافتقارها إلى المرونة اللاّزمة لإدخال التغييرات على برامجها. أما المعلّمون، فكان عليهم الانضمام إلى المبادرة الجديدة من دون أن يتوقعوا تخفيفاً من أعبائهم العملية المقررة مسبقاً أو زيادة في رواتبهم. ولا بدّ من ذكر أن بعض الراشدين شعروا بعجزٍ عن الاشتراك في خطوة حاسمة وخطيرة تتمثّل في الإيمان والثقة بقدرة الأطفال على قيادة عملية التنمية، ففضّلوا التراجع والانسحاب.

د. شعار الحملة البيئية

قامت مسابقة تنافسية محليّة، أعلن عنها في الصحف، هدفها اختيار شعارٍ مناسبٍ للمشروع. اهتمّت الشركات المحترفة وجموع من الراشدين بالأمر وساهموا فيه. إلا أن الشعار الناجح كان من تصميم طالب في قسم الفنون في جامعة النجاح، فتلقّى مكافأة قدرها مائة دولار أميركي. لقد تعاونت المؤسسات الإعلامية المختلفة تعاوناً مثمراً مع اللجنة فأمدّتها بالإعلانات والمقالات المفيدة في إعلام المجتمع المحلي بكل ما يتّصل بلمشروع، كما ساهمت في نشر الشعار بغية توعية المجتمع المحلي بالحملة المتوقعة التي سيقوم بها الأطفال داخل المدينة. فشعار الحملة البيئية وشعار "من طفل إلى طفل" سيكونان العلامتين اللتين تميّزان كل مظاهر المشروع وأنشطته.

التدريب على نهج "من طفل إلى طفل": كانون الثاني/يناير ١٩٩٦

إحدى التحديات التي تواجه تعريف المجتمعات المحلية إلى نهج "من طفل إلى طفل" تكمن في ضرورة ابتعاد نهج التعلّم عن توجيه الكبار وعن التلقين باتجاه طريقة تشاركية تعتمد على اهتمامات الأطفال وحماستهم. هذه المقاربة التربوية الجديدة تقوّي الشراكة بين الطفل والراشد، ويقوم فيها الراشدون بلعبِ دورٍ أكثر مرونة، يشجّع من خلاله الأطفال على اتخاذ القرارات وحلّ المشكلات. والمقاربة هذه معكوسةٌ في التدريب. أما التحدّي الذي يواجهه الراشدون العاملون مع الأطفال بطريقة "تلقين المعلومات" التقليدية، المرتبطة ارتباطًا وثيقاً بمنهاجٍ صارمٍ مرّ عليه الزمن، فيمكن معالجته في التدريب على نهج "من طفل إلى طفل".

قام فريق منظمة غوث الأطفال بالتحضير للتدريب. كان لإحدى منسّقتي برنامج "الطفولة المبكرة" خبرة تدريبية مكثّفة في إطار هذه المقاربة الأكثر فاعلية؛ بينما شارك منسّق مشاريع البنى التحتيّة في منظمة غوث الأطفال للمرّة الأولى، لتعزيز التدريب الذي تلقاه في حقلي تطوير الموارد المائية ومشاريع الصحة البيئية التي اعتبرت الأطفال محور اهتمامها الأول. لقد توصل هذا المنسّق إلى قناعة راسخة بأن الوعي البيئي إذا ما واكب عملية إمداد بنى تحتية فهذا يطيل أمد نجاح البرنامج. أما العضو الثالث في الفريق فكان مستشاراً بريطانياً من منظمة غوث الأطفال في "الطفولة المبكرة" عَمِلَ في نابلس وغزّة.

اشترك ٢٢ معلّماً وعاملاً في مجال الأطفال في الدورة التدريبية التي أقيمت في كانون الثاني/يناير ١٩٩٦، وحضر نائب وزير التربية اليوم الأول وعبّر عن دعمه لهذا البرنامج.

ولقد اشتمل جدول أعمال الدورة التدريبية على البنود التالية:

- شراكات بين الوكالات المختلفة.
- تحديد المشكلات البيئيّة الكثيرة في نابلس.
- تقديم مشروع منظمة غوث الأطفال.
- فلسفة ونهج "من طفل إلى طفل".
- أنشطة موجّهة إلى الأطفال في غرف الدرس وفي مجتمعاتهم المحلّية تتطلّب البحث عن المعلومات والمهارات وتسجيلها وتشاركها.
- تصميم مشروعٍ بالتعاون مع الأطفال.
- مخطط عمل البرنامج البيئي والمواقع المناسبة لاعتماد نهج "من طفل إلى طفل".
- تحديد مجموعات الدعم أثناء تنفيذ المشروع.
- متابعة التدريب.
- رفع التقارير إلى اللّجنة.
- تقييم التدريب.

تألّفت المواد المعتمدة من الطبعة العربية من "كتاب التدريب والتقييم" و"كتاب الأنشطة" من موارد "من طفل إلى طفل" وقصص "من طفل إلى طفل" (الصادرة عن ورشة الموارد العربية) إلى جانب أشرطة فيديو باللغة الإنكليزية من منظمة "من طفل إلى طفل". كما عُرِضت أعمال أطفالٍ من مخيم برج البراجنة في بيروت كمثالٍ على تجربة عربية (إذ إن معظم تجارب الجمعية كانت من الهند وأفريقيا). جُمِعَت بعض المواد المهملة قبل التدريب لتستعمل في الأعمال الفنية وأنشطة التسجيل ولتكون موارد للعروض المسرحية. وكان دليل التدريب على نهج "من طفل إلى طفل" مفيداً للغاية إذ قدّم مجموعة منوّعة من وسائل التدريب واحتوى على أمثلة عديدة لأنشطة ناجحة تدعم وتقوّي التحوّل عن الطريقة الوعظية في التعليم، إلى جانب المصنّفات الموجهة لإجراء عملية التقييم بمستوياتها المختلفة.

تحدّيات النشاطات التدريبية

هذه هي المرّة الأولى التي يجتمع فيها معلّمون وعاملون في مجال الطفولة في ورشةِ عملٍ تدريبيّة.

وكانَ بين العاملين في حقل الطفولة عاملات التأهيل المجتمعي (CBR) اللواتي يتولّين الاهتمام بالأطفال المعوّقين وعائلاتهم. وحضر الدورة التدريبية مشرفون من برنامج

"الطفولة المبكرة" وعامل صحّي وأستاذ جامعي محاضرٍ ووالدةٌ متطوعة ومفتشون من مديرية التربية. وفي مجتمع هرميّ التسلسل، لا بدّ من حصول بعض التوتر في بنية هكذا مجموعة، لكن مقاربة "من طفل إلى طفل" في التعلّم النشط، إلى جانب مهارات منسّقة منظمة غوث الأطفال الشابة، جعلت هذا الجمع مجموعةً مرحة واسعةَ الصدر مقبلةً برضى على تجربة العمل الجماعي واستخدام المواد المهملة والخردة لإنتاج مجسّمات تصوّر المناطق المحلية الملوّثة والخطرة. احتاج الأمر بين وقتٍ وآخر أن يطلب من الجمع التزام الهدوء لحسن الاستماع، وما كان ذلك أمراً سهلاً.

على الرغم من كل ذلك، ثمة دروس مستفادة يجب أخذها في الاعتبار في الخطوة التالية:

- لقد جرت الدورة التدريبية في أول أيام رمضان، الذي ترافق مع حلول فصل الشتاء، من دون تدفئة ولا مرطبات. وقد خرج المشاركون سريعاً عند انتهاء الحصص التدريبية وتوجّهوا إلى منازلهم ما منعهم من الدخول في مناقشات جانبية غير رسمية.
- لقد اختار منسقو الدروس المدرّسين ليشاركوا في أعمال الدورة من دون تفكيرٍ كافٍ بمدى كفاءتهم أو توفر الدافع لديهم.
- كان البرنامج التوجيهي لمدراء المدارس وإداريي المنظمات غير الحكومية هو الأفضل والأكثر إفادة لو جرى قبل اختيار المدارس والأندية.
- ثلاثة أيام لم تكن تكفي للقيام بدورة توجيهية معمّقة، على الرغم من لقاءات المتابعة التي انعقدت بعد ذلك.
- لكانت الدورة التدريبية مفيدةً أكثر لو حصلت في الإجازة الصيفية أو في أوائل الخريف، أي في أقل الأوقات ضغطاً خلال العام المدرسي، الأمر الذي يوفّر متّسعاً من الوقت لتطور الأفكار المطروحة. إذ بدأ العمل مع الأطفال في آذار/مارس وكان هاجس امتحانات أيار حاضراً دائماً. هذا التأخير في البدء سببه الوقت الذي استلزم تأليف اللجنة والتنسيق مع الجهات المعنية وإقامة الصلات مع الوزارات والمنظمات غير الحكومية، وهو ما لم يكن متوقعاً. إلى ذلك، كانت المدينة في بداية طور استقلالها ما بعث التوتر السياسي وزاد من العنف وأعمال الثأر.
- طرأت الحاجة إلى مستويات أخرى من التدريب بغية تزويد الراشدين المشاركين بالأفكار الجديدة وتمكينهم من الخبرة الأولية في اعتماد الوسائل المبتكرة في التسجيل والتوثيق، وفي إشراك الأطفال في تصميم اللوحت الجدارية لتُعلَّق في قاعات المدرسة وممرّاتها، وفي جمع "المهملات الجميلة" واستخدامها في الفن

وصناعة الدمى والعروض المسرحية. وهذه كلها مواضيع غائبة من المنهج التعليمي الرسمي. كما أنّ ورش العمل التي تتناول الاتصال بالأطفال وبالأهالي والمراقبة والتقييم كانت لتفيدُ الجميع لو حصلت.

- جرى تعيين المنسّقتين من برنامج "الطفولة المبكرة" بعد التدريب. ولو تمّ ذلك باكراً لأتاح فرصة اشتراكهما في التخطيط والتدريب، وهو ما كان أفضل وأفيد.

الأطفال ونشاطاتهم: آذار/ مارس. تموز/ يوليو ١٩٩٦

كان عدد الأطفال المشاركين في جلسات "من طفل إلى طفل" المدرسية يتراوح بين ٢٥ و٤٠ طفلاً في كل مدرسة، موزعين على مجموعات صغيرة. تغلبت المدارس على الصعوبات التي طرأت جرّاء إدراج المسائل البيئية في جدول الحصص اليومي بطريقة مبتكرة. فقد تمّ تخصيص ساعتين من الحصص المدرسية أسبوعياً للمشروع، وأُلغيت فاصلة الدقائق الخمس بين الحصة والأخرى وقُصِّرت فرصة الغداء خلال فترة التحضير لهذا المشروع.

وحين كان الأطفال يحضّرون لشرح نشاطاتهم، زيد وقت فرصة الغداء لمدّهم بما يحتاجون إليه من وقتٍ لإعلان رسائلهم ونصائحهم. كما تبدّلت وظائف الأطفال المشاركين في عملية المسح وأخذوا يهتمّون بجمع المعلومات من الأسر والجوار ومن التلاميذ الآخرين وقاموا بنظم الأغنيات وتأليف القصص وغير ذلك. علّق الأهالي على ما طرأ من تبدّلٍ في مواقف أطفالهم ودوافعهم، وطلبوا معرفة المزيد عن نهج "من طفل إلى طفل".

احتوت لائحة المواضيع التي طرحها الأطفال، على:

- **صرف النفايات الصلبة:**

برنامج البنية التحتية مسؤول عن توزيع حاويات في الطرقات لتجميع النفايات فيها، فالحاويات الموجودة الآن غير كافية، والنفايات تتناثر عادةً على الطريق، كما تساهم قطعان الماعز والهررة والكلاب الشاردة والقوارض والحشرات المؤذية في ارتفاع مستوى الأخطار الناجمة عن هذه الحاويات.

- **الماء النظيف:**

يأتي الأطفال والنساء بالماء من آبار وينابيع مجددة ومرمّمة غالباً ما تلوّثها الحمير وقطعان الماعز التي ترد الماء. والماء مادة ثمينة في الضفة الغربية إذ قام الإسرائيليون بتحويل القدر الأعظم منه إلى المستوطنات الإسرائيلية وإلى داخل إسرائيل.

❖ **الطعام الذي يباع في الشارع:**

يشيع استهلاك الطعام غير النظيف والمكشوف والمعلبات التي انتهت مدة صلاحيتها، كما أن ثمة أكشاك عديدة مقامة خارج المدارس.

❖ **التقديمات الصحّية في المدارس:**

نتيجةً للإهمال الذي ساد في ظلّ الاحتلال العسكري، تعاني مدارس عديدة من افتقارها إلى الشروط الصحّية وإلى التقديمات المروّجة للنظافة، كالمغاسل مثلاً.

❖ **التدخين:**

تدخّن نسبةٌ عالية من المجتمع المحلي، والنساء ضمناً، التبغ بكثافة، إذ يعتبر جلّ الفلسطينيين أنّ التدخين مُعينهم في تحمل الظروف الصعبة.

❖ **الحوادث في الطرقات:**

حافلات النقل قديمةٌ والشوارع غير معبدة، والازدحام خانق والسرعة في القيادة لا تخضع لضوابط. وما ساهم في زيادة الحوادث وارتفاع أخطارها سنوات من القيادة السريعة واللامبالية لتجنب الدوريات العسكرية، فضلاً عن غياب الإشارات الضوئية وشرطة السير.

يوفّر الجدول (١) رؤية واضحة للبرامج التي طورها الأطفال.

جدول ١: تحليل لبرامج طورها الأطفال

المنطقة	المشاركون	عدد الأطفال المشاركين		الموضوع	الأنشطة	الموارد المنتجة	التغيير في المجتمع	المساهمات في حفل الختام
		الإناث	الذكور					
نابلس	مدرسة الكرمل	٣٥		النظافة الشخصية: تجديد المدرسة والمناطق المجاورة، وحملة نظافة.	زيارة المتاجر لإثارة مسائل مثل انتهاء صلاحية المواد التجارية المعلّبة والطعام المكشوف. زيارة رئيس البلدية بخصوص وضع المدرسة. فرض غرامات على رمي النفايات في ملعب المدرسة. رسومات عن طرق استعمال المرحاض. القيام بتظاهرة.	حاويات نفايات: رسوم على جدران المدرسة: مسرحية، وملصقات.	الحمامات أنظف: وكذلك الملاعب والمنطقة التي تحوط المدرسة: السلالم والحفرة في الملعب جرى إصلاحها.	مسرحية، وملصقات.
نابلس	مدرسة بلاطة	٤٠		الصحة الشخصية والنظافة العامة: استخدام حاويات نفايات في المجتمع المحلي.	إجراء مقابلة مع المسؤول عن مخيم اللاجئين لمناقشة مسألة النظافة في المجتمع المحلي. والقيام بتظاهرة.	رسومات: ملصقات وأغاني.	المدرسة أنظف: الكافتيريا أنظف وأكثر نظاماً.	ملصقات، وأغاني.
نابلس	مدرسة عسكر	٤٠		المحافظة على الماء ونظافته: النظافة الشخصية وغسل الأسنان.	دعوة الأونروا والمجتمع المحلي لحضور عرض حول المسائل البيئية: رسومات على جدران المدرسة، والقيام بتظاهرة.	الرسم على الجدران: مسرحية: ملصقات وأغاني.	المدرسة أنظف: مدرسة عسكر تتبع دوامين. والحملة في المدرسة شملت الدوامين حيث أن كل الطالبات عملن معًا.	ملصقات: قصص قصيرة، وأغاني.

جدول ١: تحليل لبرامج طورها الأطفال

المنطقة	المشاركون	عدد الأطفال المشاركين		الموضوع	الأنشطة	الموارد المنتجة	التغيير في المجتمع	المساهمات في حفل الختام
		الإناث	الذكور					
نابلس	مدرسة المعري		٣٠	الطعام المكشوف: تنظيف المراحيض: تخليص المدرسة من الفئران.	زيارة المجلس البلدي لمناقشة الأوضاع والسؤال عن عمال للمساعدة بأعمال النظافة ، وزرع حديقة المدرسة.	زينة من أوراق الحلوى: مسرحية: ملصقات وأغاني.	المجلس البلدي يقضي على الفئران بالسمّ، كما جرى إصلاح المراحيض.	مسرحية: ملصقات. وأغاني.
نابلس	مدرسة الرازي		٣٠	النظافة بما فيها نظافة المراحيض.	حملة نظافة، وملصقات.	ملصقات.	مدرسة ومراحيض أنظف.	ملصقات.
اسكاكا	نادي اسكاكا البيئي	٢٤		أسباب الإسهال وطرق العلاج.	إجراء حوارات مع المجتمع المحلي حول كيفية تجنب الإسهال.	مسرحية.	للمتابعة في العيادة الصحية.	مسرحية.
تَلفيت	نادي تلفيت البيئي	٣٥		ابقِ قريتك نظيفة.	تظاهرات: رسوم على جدران القرية، ومسرحية.	يافطات.	قرية أنظف وأجمل.	مسرحية.

جدول ١: تحليل لبرامج طورها الأطفال

المنطقة	المشاركون	عدد الأطفال المشاركين		الموضوع	الأنشطة	الموارد المنتجة	التغيير في المجتمع	المساهمات في حفل الختام
		الإناث	الذكور					
دير شرف	نادي دير شرف البيئي	٢٥	٣٠	المخاطر البيئية في المحاجِر والمزارع.	زيارة وزير التربية والتعليم بشأن التصدعات في المدرسة التي تسببت بها أعمال شركات الإنشاءات في المحاجر: زيارة وزير الصحة لمناقشة مخاطر الحشرات والقوارض من مزارع تربية ديوك الحبش المجاورة.	تظاهرات؛ احتفال في القرية، وملصقات.	وعد من وزير التربية والتعليم بإصلاح التصدعات في سقف المدرسة، ووعد آخر من المجلس البلدي بالنظر في إمكانية نقل شركات الإنشاءات إلى منطقة أخرى.	قصائد، وملصقات.
نابلس	الحبلة	١٠	١٠	النظافة الشخصية ونظافة الجوار.	حملة نظافة؛ زيارة المتاجر لمناقشة مسائل انتهاء صلاحية بعض المواد الغذائية والطعام المكشوف؛ زيارة المشافي وسؤال الأطباء هناك عن الأمراض التي يتسبب بها التدخين، إلخ..	ملصقات في المدارس والمستشفيات، وأغاني.	جوار أنظف.	أغنية.
نابلس	الياسمينة		٤٠	جِوار أنظف.	تظاهرة، وملصقات في الشوارع.	ملصقات.	جوار أنظف وأجمل.	مسرحية إيمائية.

الأنشطة والمشاريع

- تعززت حملة "من طفل إلى طفل" للترويج إلى الصحة البيئية بفضل مسابقات تنافسيّة عديدة مفتوحة أمام كل الأطفال. فمسابقة الرسم استقطبت ٨٠ طفلاً، وجرى عرض رسوماتهم في معرض زارته العائلات والأطفال الآخرون وأعضاء المجتمع المحلي، كما تمّ اختيار أربع لوحات كي تستخدم في الحملة كملصقات وشارات، طبع منها ٤ آلاف، وُزِّعت في المدينة وعلّقت في المدارس والمستشفيات والمخازن. تناولت اللوحات مواضيع عديدة كمخاطر الطعام المكشوف في الشوارع وتشجيع حملات تنظيف الجوار ومضار التدخين وأهمية الصحّة الشخصية.
- أما مسابقة تأليف القصة، فأثارت اهتمام ١٢ طفلاً، والقصة التي اختيرت كان موضوعها انهيار إحدى الممالك والنشاطات التي قد تعزز الاهتمام بالبيئة. كما تقدّم ١٥ طفلاً للتنافس في تصميم رسوم القصص. وقع الاختيار على ما أنتجه أحد الأطفال وطبع في ١،٠٠٠ نسخة وزّعت على المدارس والمنظمات المحلية المهتمة بشؤون البيئة والطفولة.
- حازت مسابقة تصميم روزنامة العام ١٩٩٧ شعبيةً كبيرةً واشترك فيها مائة طفل. اختير ١٢ تصميماً لإعداد أوّل روزنامة للصحة البيئية في نابلس. بيعت هذه الروزنامة للمصارف المحليّة ووزّعت على المنظمات المهتمة بشؤون البيئة والطفولة.
- ابتكر أحد الأطفال فكرةً جديدةً هي لعبة اللوح الجماعية المعتمدة على المسائل البيئية. استنسخت هذه اللعبة في خمسة آلاف نسخة أنتجتها شركة محترفة لصالح دور الحضانة والمدارس والأندية. تتطلب هذه اللعبة ٤ لاعبين وتتضمن أوراقاً فيها نصائح إيجابية وتلميحات سلبية تخوّل اللاعب أن يتقدّم إلى الأمام أو أن يتراجع إلى نقطة البدء، وذلك بحسب النصّ البيئي الذي يكون من نصيبه عند اختياره ورقة من الأوراق.
- راق لمخيلة الأطفال تعديل الأغنيات المعروفة، فتم اختيار ما أنتجه أطفال من ثلاث مدارس لإنتاج خمسة آلاف شريط يحتوي على أغنيات بيئية تحمل النصائح والمعلومات عن الأسنان والاهتمام بالبيئة وتوفير الماء والصحة الشخصية.

إشراك الإعلام

استعانت اللجنة بمصمّم إعلانات ليعتمد على أفكار الأطفال التي عبّروا عنها في القصة والأعمال الفنية وذلك من أجل ابتكار سبعة إعلانات لصالح إذاعة فلسطين بثّتها من دون أي مقابل خلال الحملة.

غطى التلفزيون المحلي الحملة وحفل اختتام المشروع السنوي ببثّ ١٤ ساعة تناولت أعمال الحملة والشروح والعروض المسرحية والموسيقية التي سُجِّلت في المهرجان.
بلغت الصور الفوتوغرافية التي التقطها المصوّرون ١٢٠ صورة وثّقت مختلف النشاطات التي رافقت الحملة وذلك بدعمٍ من محطة التلفزيون المحليّة.
تم توزيع شريط فيديو يوثق المشروع ليستخدم في دورات تدريبية إضافية لا تقتصر على الضفة الغربية وقطاع غزة بل تقام في أنحاء العالم العربي. فهذا الشريط يُغني الموارد المنشورة من خلال تقديمه تجربة عربية وإدرجها ضمن تجارب "من طفل إلى طفل" الأخرى.

إتمام الحملة

بدأ الأطفال أبحاثهم حول المخاطر البيئية المحلّية في آذار/ مارس ١٩٩٦. وفي تموز/ يوليو، خُصِّصَ أسبوع كامل للنشاطات في شوارع وأندية ومكتبات ومدارس المدينة. فشهد المجتمع المحلّي تنوّعاً في الألوان والأشكال والتركيبات والأغاني والرقص والعروض المسرحية عبر الإذاعة والتلفزيون والملصقات، وعَبَرَ الأطفال أنفسهم إذ قدموا في مجموعاتٍ عروضهم للأطفال الآخرين ولعائلاتهم ومجتمعهم المحلي.
أما حفل الختام، فكان عملاً عظيماً وغير مسبوق، قدمت فيه المرطبات والهدايا وأقيم في باحةٍ واسعةٍ جداً غطّت الأعمال الفنية جدرانها واكتظّت بأربعٍ وخمسين طفلاً متحمّسين وواثقين من قدرتهم على نقل ما تعلّموه إلى مئات الحاضرين، وذلك عبر اتّباع وسائل مبتكرة، ليشاركوا الآخرين في معرفتهم. أما مديرة مراسم الاحتفال فكانت شابة مراهقة لاجئة في أحد المخيمات أدارت النشاط بثقةٍ وفخرٍ مُثيرين.
غنّت الفتيات الأغنيات وهنّ مرتديات الأثواب التقليدية الطويلة المطرّزة الجميلة، وقد وقفن منتصباتِ القامة، جليلات لكن يلفّهنّ السرور وتزيّنهنّ المتعة. ومثّل طفل في التاسعةِ من عمره دور بائعٍ جوّالٍ خائبٍ قاطعه الجميع لأنه يترك ما يبيعه من حلويات من دونَ غطاء في كشكه، فأدّى دوره الهزليّ أداءً رائعاً واهتزّت الباحة بموجات الضحك المتواصل. كما قدمت الفتيات عرضاً مسرحياً قصيراً عن تدهور صحة طفلٍ من أطفال المخيمات، فأثّر صدقهنّ ونقدهن اللاذع لسلوك الراشدين في الناس الذين بسوا غصّة، إذ تحولت الفتيات إلى أمهات وجدّات وجارات، ونُشِرَت نصائح جديدة تتعلق بصحة الطفل عبر طريقة اتصال تقليدية قوية تمثّلت بمجموعة من نساء البلدة.
وفي نهاية هذا الاحتفال، خيّم جو من الرضى شابَهُ القليل من الحزن. لقد بذل الراشدون والأطفال جهداً كبيراً معتمدين وسائل مبتكرة في التعلّم وفي مشاركة ما

تعلّموه. لقد تعاون المجتمع المحلّي مع المنظمات الحكومية والتطوعية، كما أدّت شبكات الإعلام الحديثة دوراً مهماً في دعم المبادرة. **كيف قُيِّم المشروع؟ ما الذي سيدوم منه؟**

تقييم

كان المشروع خاضعاً لمراقبة متواصلة ومباشرة من خلال اجتماعات اللّجنة والتقارير وزيارات المشرفين الميدانية وشريط الفيديو الذي احتوى تسجيلاً كاملاً للنشاطات التي قام بها الأطفال طوال أسبوع الحملة. كما انفتح باب نقاش جماعي سلّط اضوء على أعمال المشروع أداره المشرفون والمعلمون والعاملون في حقل الطفولة. إلى ذلك، انطلقت ورشة عمل ختامية ضمّت منظمة غوث الأطفال واللجنة والمشرفين والراشدين المشاركين في أعمال المشروع. ولسوء الحظ، لم يكن للأطفال مشاركةٌ في ورشة العمل هذه.

نتيجةً لمستويات التقييم المختلفة، جرى التشديد على المسائل التالية:

- أحب الأطفال هذه الطريقة وكانوا على قدرٍ كبيرٍ من الحماسة والإبداع والتوق إلى العمل.
- تجاوز ما حققه الأطفال توقعات الراشدين، إذ أظهروا قدرتهم على التفكير لصالحهم وعلى تقديم آرائهم بصورة مهذبة ولائقة.
- نما حسّ الثقة بالنفس واحترام الذات في الأطفال، وقد ظهر هذا الأمر على وجه الخصوص في تفاعلهم مع المجتمع المحلي ومع المسؤولين في المدينة.
- تطورت علاقات جديدة بين الأطفال والراشدين وخصوصاً في الجلسات المدرسية.
- بدأ الأطفال يعون دور المدرسة الذي هو أكثر من البرنامج الأكاديمي.
- ساهم نهج "من طفل إلى طفل" في تطور الأطفال وفي افساح المجال أمام المزيد من الأنشطة غير الأكاديميّة التي تركّزت على العلاقات والإبداع ومهارات التواصل.
- انبثق شكلٌ من أشكال التعلّم أكثر انفتاحاً مع الأطفال الذين نمّوا في أنفسهم مهارات التخمين والتقييم ومهارات حل المشكلات والتحليل النقدي.
- كان لأنشطة الأطفال أثرها الإيجابي في المسؤولين في البلدية ووزارتي الصحة والتربية، ونتج من ذلك استخدام عمّال تنظيفات أكثر في المدارس ورفع مستوى النظافة في المغاسل واستعمال السموم المخصصة للتخلّص من القوارض وتحسين مستوى المطاعم المدرسية.

- تعززت العلاقة بين المدرسة والمجتمع المحلي، بفعل إشراك المجتمعات المحلّية في الأنشطة كلها.
- أدخلت المدارس والجوار تحسينات ملحوظة في معايير نظافتها.

إلى ما ذكرنا، نضيف أن اللقاءات التقييميّة طرحت على بساط البحث مسائل متعلقة باستدامة ما حصل، وخرجت بتوصية مفادها وجوب تطوير برنامج "من طفل إلى طفل" خلال السنوات الثلاث القادمة لتقييم تقدّمه وديمومته.

تلقّت اللجنة مساهمات عديدة من السكان المحليين أثناء الحملة. ولقد قامت مؤخراً بترسيم نظامها الداخلي وانتخاب رئيس لها وأمين للسرّ وأمين للصندوق تحضّراً للسنة المقبلة، وبدأت تسعى وراء تمويلها الخاص والعمل مستقلّةً عن منظمة غوث الأطفال.

وفيما تقدم منظمة غوث الأطفال نهج "من طفل إلى طفل" إلى منطقة جديدة شمالاً، وتطور البرنامج في غزّة، ثمة خبرة فلسطينية غنية يمكن استشارتها وتُبادلها مع الموارد العربية المبتكرة في نابلس والتي تضيف غنى إلى الموارد الصادرة حتى الآن في إطار برنامج "من طفل إلى طفل".

شجّع وزير التربية المدارس خلال المشروع، وخصوصاً فيما يتعلق باعتماد المرونة في الدوام المدرسي، كما شجعهم على إشراك المشرفين في الحرم المدرسي والمساهمة في تحسين مستوى التقديمات المدرسيّة. وجرى إشراك مفتّشين حكوميين وآخرين من "الأونروا"، بما يوفر فرصة فعلية لإجراء التغييرات المطلوبة في المنهاج المدرسيّ. إلى ذلك، كان ثمة توصية باعتماد كل المدارس صفاً يتناول صحة البيئة.

قدمت وسائل الإعلام المنشأة حديثاً دعماً غير محدود للمشروع، فأذاعت محطة الإذاعة برامج جديدة عن البيئة. واستضافت هذه المحطة في أول برامجها البيئيّة أحد أعضاء اللجنة لتشارك معرفته فيما يتصل بمشكلات الماء المستفحلة. وقد أسفر هذا الدعم عن ورود طلبات من مجتمعات محلية أخرى تسأل اللجنة والإذاعة العون في إطلاق مشروع مشابه على نهج "من طفل إلى طفل" في مناطقها.

في جعبة منظمة غوث الأطفال برامج أخرى تتصل بتنمية "الطفولة المبكرة" والزراعة. ويتوقع أن يكون للّجنة مساهمات في موضوع البيئة ضمن هذه البرامج. في هذه الأثناء، تخطط بعض المدارس من تلقائها لإنشاء الحدائق وزراعة الأشجار الوارفة في حرمها.

مع توسّع العمل على نهج "من طفل إلى طفل"، يُتوقّعُ أن يُفسَحَ المجال أمام دورٍ أكبر للأطفال، يقومون خلالهُ بمساعدة الأطفال الأصغر سناً على تنظيم مجموعاتهم الخاصة. كما يؤمَلُ أن يُمنح الأطفال قدراً أكبر من الاستقلالية في برامج المخيمات الصيفيّة بفضل تطوُّر التدريبات التي يتلقاها قادة البرامج الشبان.

التشبيك في نهج "من طفل إلى طفل" في أنحاء العالم العربي

في أواخر العام ١٩٩٦، عقدت ورشة الموارد العربية، التي تقوم بنشر مواد "من طفل إلى طفل" باللغة العربية والتي تدعم انتشار نهج "من طفل إلى طفل" في العالم العربي، ورشة عمل إقليمية استشارية في قبرص بتمويل من الخدمات الجامعية الدولية (World University Service) شارك في هذه الورشة أفراد من بلدان عربية مختلفة، بعضهم ناشط في إطار برامج "من طفل إلى طفل" والبعض الآخر مهتمٌ باستكشاف قدراتها، وذلك ليضعوا مخططاً للعمل. وقد حضر شركاء من الضفة الغربية وقطاع غزة أعمال الورشة وعرضوا أعمال الأطفال وأشرطة الفيديو التسجيلية.

بعد ورشة العمل الإقليمية الاستشارية هذه التقت مجموعة من مسؤولي المنظمات العربية الأهلية، العاملة في الجليل والجولان والنقب، مع مستشار منظمة غوث الأطفال وعرضوا عليه اهتمامهم بنهج "من طفل إلى طفل". ستستفيد هذه المجموعة من التجربة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزّة ومن خبرتها لتنسج على منوالها. وستعتمد مواردها الخاصة دليلاً لها في ورش العمل التوجيهية. والموارد هذه طلبتها ورشة الموارد العربية لتقيِّم مواد "من طفل إلى طفل" المترجمة خلال ورش العمل، ولتؤمّن مراجعة تحدّد فيها موقع هذه المواد من الثقافة العربية، وتشير الى الجوانب التي تحتاج إلى تغيير وتطوير. في إطار التقدم المستقبلي لنهج "من طفل إلى طفل" في المنطقة، ثمة فرصة متاحة الآن لإعداد مواد بالعربية مستقاة من مشاريع موجودة أو طارئة تعكس على وجه الخصوص آراء الأطفال وتجاربهم، كما آراء الراشدين وتجاربهم.

إن نهج "من طفل إلى طفل" هو واحد من البرامج العديدة التي تساعد ورشة الموارد العربية على تطويرها. وهذه تتضمّن "تربية الطفولة المبكرة والعناية بها" و"حقوق الطفل" (في الرأي والمشاركة خاصةً) والتدريب على العمل المجتمعي. وكلّها تدعم إعادة النظر في المفاهيم المتعلقة بتربية وترفيه وإنما الطفل العربي في منطقة تعيش تحولات كثيرة وتتحرك باتجاه الدخول في القرن الواحد والعشرين.

اليمن: الخيط المشترك. دور الشراكات في نشر نهج "من طفل إلى طفل"

دعم رادّا بارنِن لتطوُّر "من طفل إلى طفل"

برو تشُوكر*

مقدمة

اتّحدت الجمهورية العربية اليمنيّة وجمهورية اليمن الديمقراطيّة في العام ١٩٩٠ لتكوّن الجمهورية اليمنيّة. بعد هذا الاتّحاد، اندلعت في العام ١٩٩٤ حرب داخلية قصيرة لكن دمويّة. خلال هذه الحقبة، كانت "رادّا بارنِن" قد شجعت ودعمت تطوير أنشطة "من طفل إلى طفل" في بعض المدارس الابتدائية في أنحاء البلاد لمساعدة أطفال ظروفهم صعبة، ومنهم الأطفال المعوقون وأولئك الذين أثّرت الحرب في حياتهم تأثيراً سيّئاً.

في هذا الفصل، وصف لتطوُّر نهج "من طفل إلى طفل" في مدينة تعز، وبعد ذلك عرضٌ لأحدث مبادرة، وتركيزٌ على بعض المدارس في عَدَن.

نهج "من طفل إلى طفل" في تعز

في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٢ دعت اليونيسف إلى ورشة عمل في صنعاء لتقديم مفهوم "من طفل إلى طفل" إلى ممثلي وزارة التربية (مديرية الصحة المدرسيّة ضمناً) والثقافة والمدارس ودور الحضانة وإلى ممثلي وأعضاء منظّمات دوليّة غير حكوميّة من بينها "رادّا بارنِن" (رعاية الأطفال السويدية). ونُظِّمت هذه الورشة بالتعاون مع جمعية "من طفل إلى طفل" في لندن.

انطلاقاً من ورشة العمل الأوليّة هذه، تمّ تطوير مشروع رائد بتمويل من رادّا بارنِن (شعاره "من التلميذ إلى الأسرة" بدلاً من "من طفل إلى طفل"، الذي بدا راديكالياً). وكانت انطلاقة نهج "من التلميذ إلى الأسرة" على يد مسؤول في حقل الرعاية الصحّيّة الأوليّة لصالح رادّا بارنِن. حضر معلِّمون، من أربع مدارس، الورشة، وطوّروا أنشطة هدفها تحسين مستوى التربية الصحّيَة في المدارس والوصول إلى كلّ المجتمع المحلي بواسطة الصحف والمجلات ومحطّات الإذاعة المحليّة.

* بُرُو تشُوكر مدرِّسة ومرشدةٌ في شؤون الإعاقة، تولّت التدريب والاستشارات المرافقة لمراجعة البرنامج بطلب من جمعية «من طفل إلى طفل». عاشت في الجمهورية اليمنية في العامين ١٩٩٢ و١٩٩٣، وعادت إليها في العام ١٩٩٦ لتنفّذ مراجعة للبرنامج بالتعاون مع رادا بارنن.

جمعية "من طفل إلى طفل"

يعود الفضل في الانطلاقة الحقيقيّة لأنشطة "من طفل إلى طفل" إلى مديرة أحد أكبر المدارس المخصّصة للبنات، تتمتّع بقدر كبير من الحيويّة. وبرعاية رادّا بارنِن، شاركت هذه المدرِّسة في ورشة عمل أخرى في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٣ على نهج "من طفل إلى طفل" نظَّمتها ورشة الموارد العربيّة في لبنان. إثر ذلك، تأسست جمعية "من طفل إلى طفل" في تعز في أيار/مايو ١٩٩٤ (انظر الإطار١).

في العام ١٩٩٦، ضمّت هذه الجمعية ستّ مدارس وتركت الباب مفتوحاً لمدارس أخرى في تعز، إذا رغبت في المشاركة. وهي مستمرّة في تنظيم الحلقات التدريبيّة الأوليّة والمتقدِّمة، تموِّلها الاعتمادات المدرسيّة.

مبادرة رادّا بارنِن في المحافظات الجنوبيّة

نهج "من طفل إلى طفل" في اليمن، وفي المنطقة الجنوبيّة خصوصاً، متجذِّر في مجتمع يتعرّض لتحوّلات سياسيّة كبيرة، ويستجمع قواه بعد حرب لا تزال آثارها ماثلة في الأذهان يومياً بعد عامين من انتهائها. فالألغام غير المنفجرة ما زالت تمثل خطراً والبنية التحتيّة المنهارة تذكار دائم من أيام الحرب الدمويّة التي هدمت المدارس وعرَّتها. وما يزيد البلاء ضعف موارد الدولة الذي يجعلها عاجزةً عن إصلاح الأضرار.

نتيجة هذا الوضع، عرضت رادّا بارنِن الدعم على وزارة التربية في عدن، حيث أن العمل مع الأطفال "المعرضين للأذى" جزء من رسالتها، واتّفقا على بنود عديدة أهمها توفير الدعم للمجتمع المحلي لترميم دور الحضانة؛ إطلاق حملة توعية حول خطر الألغام؛ عقد ورش العمل حول التأثيرات النفسيّة التي خلَّفتها الحرب، والتعريف بنهج "من طفل إلى طفل" في ثلاث مناطق هي الأكثر تضرّراً من الحرب في عدن، ومن ثم تعميم النهج في محافظات جنوبيّة أخرى.

كما أسلفنا، تتولّى رادّا بارنِن منذ العام ١٩٩٢ دعم أنشطة "من طفل إلى طفل" في بعض مدارس مدينة تعز، على بُعد ١٥٠ كيلومتراً إلى الشمال من عدن. وعلى الرغم من تواضع البرنامج المنفَّذ في هذه المدينة، إلاّ أنه وفّر نموذجاً للممارسة الجيّدة. اكتسبت مجموعة من المدرِّسين في تعز خبرة في تطبيق نهج "من طفل إلى طفل" حضرت لتقديم العون في مهمة إدراج النهج في مدارس عدن. ساعدت هذه المجموعة في إدارة أول ورشة عمل تقام في الجزء الجنوبي من اليمن في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٤، بدعم من مستشار رادّا بارنِن.

منذ ذلك الحين، نظَّمت رادّا بارنِن ورش عمل واجتماعات متابعة في ما يقارب أربعين

مدرسة في مقاطعات عدن ولحج وأبين والمكلاّ. اختارت وزارة التربية هذه المدارس في مناطق دمّرتها الحرب ليتمّ إدخال البرامج فيها. بدأ العمل في مديرية الشعب الأكثر تضرراً في عدن، وتوزعت المدارس على خمس مجموعات مما يفسح المجال أمام دعم المدارس بعضها لبعض. طلبت رادّا بارنِن أن يكون المعلِّمون المشاركون في ورش العمل التدريبيّة، معلمي مواد يسهل إدخال نهج"من طفل إلى طفل" إليها، كالعلوم والتعليم الدّيني واللغة العربيّة. إلى ذلك، شُجِّعَ العاملون الاجتماعيون في المدارس والمدراء ونوّابهم على الحضور.

إطار ١

مداخلة جليلة شجاع الدين
رئيسة جمعيّة "من طفل إلى طفل" في تعز

قبل عامين، أي في العام ١٩٩٤، قامت جمعية "من طفل إلى طفل" في تعز، وذلك بعد مشاركتي في ورشة عمل حول نهج "من طفل إلى طفل" في لبنان. لقد أمدَّتنا جمعية "من طفل إلى طفل" في لندن بكتابين بالعربيّة من مواردها، فكانا الأساسين اللذين بنينا عليهما أنشطة الجمعيّة.

في البداية، شاركتنا الجُهد ثلاث مدارس لتنضمَّ رابعة بعد حين؛ أما الآن، ففي صفوفنا ستّ مدارس من ٢٣ مدرسة في تعز. تتراوح أعمار التلامذة في هذه المدارس بين ٦ سنوات و١٩سنة. والمدارس هنا فسيحة، فعلى سبيل المثال، تضمّ مدرستي ٠٤٤ تلميذة، في دوامين يومياً، ولكل دوام معلِّموه الخاصّون.

في ما يلي وصف لكيفيّة تنفيذ نهج "من طفل إلى طفل":

تمثَّلت الخطوة الأولى في عقد ورشة عمل لعشرين مدرِّساً من ثلاث مدارس، اعتمدت خلالها طريقة "الخطوات الستّ" للتفكير في كيفيّة إدخال نهج "من طفل إلى طفل" إلى المدارس.

ولقد برزت خلال ورشة العمل هذه ثلاث مسائل أساسيّة:

١. كيف السبيل إلى تضمين الوعي الذي يختزنه نهج "من طفل إلى طفل" في الحياة المدرسيّة؟ (أفادت الاقتراحات بأن يتمّ ذلك عبر الاجتماع المدرسي ولقاءات الأساتذة واجتماعات الأهالي).

٢. ما المواد اللازمة؟

٣. ما المواضيع ذات الأولويّة لأنشطة "من طفل إلى طفل"؟

بعد الورشة، اختارت المدارس الثلاث المواضيع التالية:

- مشاعر الأطفال.

- السلامة في الطرق.
- كيف نحدد ونساعد الأطفال المعوّقين (وخصوصاً الصمّ منهم).

انشغلت كلّ مدرسة بموضوع واحد طوال شهرين، عقد على أثرهما اجتماع ثانٍ لمناقشة الأنشطة والمشكلات التي طرأت. وفيه برزت أسئلة أخرى، مثل:

- ما عدد الأطفال الذين فهموا نهج "من طفل إلى طفل"؟
- ما عدد الأطفال الذين شاركوا فعلياً؟
- أيّ أنشطة حصلت خارج قاعة الدّرس؟

بعد هذا الاجتماع، تبادلت المدارس المواضيع، وهكذا، إلى أن اكتسبت المدارس الثلاث خبرة في كل من المواضيع الثلاثة. ثم زار الأطفال المدارس الأخرى لتبادل الخبرة فيما بينهم وذلك من طريق تشاركهم في القصص والأغاني والأدوار التمثيليّة.

كان هذا نشاط السنة الأولى.

تم اختيار من كان بارعاً ونشيطاً من أطفال السنة الأولى في برنامج "من طفل إلى طفل" ليشاركوا مرة ثانية على أن يكونوا قادة للفرَق. عندئذ، انطلقت هذه الفرَق في نشاطاتها المقرّرة من دون المعلّمين. واختار الأطفال، كموضوع ذي أولويّة، أن يتحرّوا أمر الأطفال الذين يُصابون بفعل اللّعب بالأسلحة الناريّة، فسجّلت هذه النشاطات على أشرطة فيديو ليجري استرجاع ومراقبة ما حصل.

زار الأطفال مديرية الشرطة للسؤال عن إحصاءات تتناول الأطفال المصابين بفعل استعمال القنابل والأسلحة. فقيل للفتيات أن لا يكاد يمر يوم من دون أن يُقتل أو يُجرح طفل في منزله بسبب وجود هذه الأسلحة في المنازل عموماً. كما أنّ عادة إطلاق الرصاص في المناسبات الخاصة كالأعراس تؤدّي دائماً إلى حالات الوفاة والإصابة وخصوصاً بين الأطفال.

كما زار الأطفال العائلات وحصلوا على إجابات سلبيّة عن أسئلتهم. فعلى سبيل المثال، قيل لهم: "غريب جداً أن يسأل الأطفال - والبنات خصوصاً - هذه الأسئلة". وقال لهم أحد الآباء: "علينا أن نقتني السلاح في المنازل إذ هو فخرنا وقوّتنا". أما آخرون، فشعروا بتحسّس سياسي إزاء أسئلة عن الأسلحة، فامتنعوا من الإجابة أو التدخّل. لكن، وعند نهاية الأشهر الثلاثة، لوحظ قيام الآباء بتخزين السلاح بعيداً من متناول الأطفال. كما لوحظ تراجع واضح في نسبة إطلاق النار في الأعراس.

إلى ذلك، اتّفق الأطفال على أنّ العمل مع الأطفال المعوّقين من الأولويّات، فأجروا مسحاً عاماً لـ٣٢٠٠ عائلة، كانت نتيجته ٩٨ طفلاً معاقاً و٥٠ طفلاً تتراوح أعمارهم بين ٤ و١٣ عاماً يعانون من الصمم. انطلاقاً من هذا النشاط، تأسّس المركز المخصّص للصمّ. وفي آذار ١٩٩٦، عقد أطفال المدارس التي تعتمد نهج "من طفل إلى طفل" ورشة عمل في هذا المركز لتعريف أطفاله بهذه المقاربة الجديدة. كان المدرِّبون أطفالاً كلّهم إذ انتخب ٣ أطفال

من كل مدرسة يدعمهم أحد أساتذتهم لهذه المهمّة. حقّق الأطفال في ورشة العمل هذه نجاحاً باهراً، وصُوِّرت وسُجِّلت في شريط فيديو. وما كان من وصف لهذه الورشة أبلغ ممّا قاله أحد الأطفال المعوّقين إذ صرّح أنها كانت "كالوردة المتفتّحة ذات العطر الفواح".

بعد ذلك، برزت أولويّات جديدة، فنقص الماء مشكلة تدفع معظم سكان تعز إلى شرائه. ولهذا قام الأطفال في نشاطاتهم بتسليط الضوء على المشكلات الناجمة عن هذا النقص. فإلى جانب اهتمامهم المباشر بالصحّة العامة، لاحظوا الارتفاع المستمر في عدد الحوادث التي يتعرَّض لها الأطفال وهم يتلقَّفون أوعية الماء من مؤخّرة شاحنات التسليم، ويعبرون الطرق حاملين دلاء الماء الثقيلة.

يستغرق التحضير لهذه النشاطات وقتاً طويلاً خارج الدوام المدرسي، إذ يعمل الأطفال في مجموعات، يؤلِّفون البرامج الإذاعيّة لتبثَّ في الاجتماع المدرسي ويتمرَّنون على لعب أدوار تمثيليّة مستقاة من قصص "من طفل إلى طفل" ليمثِّلوها خلال هذا الاجتماع. وأبرز مثال على ذلك قصة عن الأمراض التي ينقلها الذّباب. كل أطفال المدرسة منخرطون في نهج "من طفل إلى طفل" إلاّ أن قلّة من الفتيات قادرة على مواجهة "الجمهور". تختلف الأنشطة في طولها وذلك بحسب كل نشاط وهدفه، فالنشاط المضادّ للأسلحة استغرق ثلاثة أشهر. كانت سياسة المدرسة دفع التلاميذ نحو استخدام مواهبهم أفضل استخدام، فبعض الفتيات يحتجن الى بعض التشجيع ليَكُنَّ أكثر ثقة بأنفسهنّ. كانت إحدى الفتيات تستحي كثيرًا على الرغم من ذكائها الفذ، ولكن عندما طلبنا إليها أن تدرب في مركز الأطفال الصمّ تضاعفت ثقتها بنفسها، إلاّ أنّ والدها قال إنها كانت أفضل في السابق! وفتاة صماء أصبحت أكثر انطلاقًا وحيوية بعد انضمامها إلى المركز، وأخبرتني أمها أنها تقابل الضيوف الآن بعد أن كانت تختبئ منهم.

ما الذي أردنا إنجازه قبل عامين؟ طريقة جديدة في التعليم والتعلُّم. اعتقد أننا على الطريق الصواب.

أهمية التدريب وتطوير فريق العمل

تمّ اختيار وتحضير المدرّبين المسؤولين عن تقديم ودعم أنشطة "من طفل إلى طفل" في مدارس المقاطعات الجنوبيّة بدقة. كما جرى اختيار مدرّبين جدد من بين المشاركين في ورش العمل الافتتاحية ممن يُظهرون ميلاً قوياً إلى برنامج "من طفل إلى طفل"، أُخضِعوا لتحضير مكثّف ثلاثة أيام قبل أن يتولّوا مهامّ التدريب. في نهاية كل ورشة، يختار المشاركون "فريق عمل" يضمّ في صفوفه مشاركاً أو اثنين من كل مدرسة، ويكون هدف فريق العمل تعزيز ودعم أنشطة "من طفل إلى طفل" في شبكة مدارسهم.

كان التزامُ مدرِّبي "من طفل إلى طفل"، وسياسة رادّا بارنِن في تطوير مهارات الناس

عبر التدريب المستمر، واجتماعات المتابعة، مهمين جداً لتأمين استمرارٍ ناجحٍ لهذا البرنامج في المقاطعات الجنوبية.

مدارس في عدن

لقد ذكرت آنفاً أن أغلبية المدارس المختارة لتطبيق برنامج "من طفل إلى طفل" عانت من أضرار جسيمة جرّاء الحرب، ومنها كثيرٌ تعرّض للنهب ولأضرار في أنابيب المياه جعلتها تحاج هذه المادة الحيوية حاجةً ماسّة. كما أُتلفت الكتب واستغرق طبع بدائل منها وقتاً طويلاً. إلى كل ذلك يُضاف الخطر المستمرّ الذي تشكّله الألغام الأرضية غير المنفجرة على حياة الجميع.

أفضلُ وصف للأثر الذي تركه برنامج "من طفل إلى طفل" في أولئك الذين يعيشون ظروفاً صعبةً هو الوصف الذي يقدّمونه بأنفسهم. ما يلي مقتطفات من مقابلات مع مدراء ومعلّمين وأولياء أمور وأطفال في ستّ مدارس اعتمدت نهج "من طفل إلى طفل".

مدرسة البهاميش

بُنيت هذه المدرسة حسنة الصيت أثناء الحقبة البريطانية، وهي مخصّصة للبنات فقط. صنّعت تلميذاتها الصغيرات شاراتهنّ الخاصة وبعض المواد المساعدة على التعليم كنماذج لبيوت بعضها بنوافذ مشبّكة بشباك تمنع دخول الحشرات فيظهر ساكنوها فرحين، وبعضها الآخر من دون شباك تغطّي لسعات البعوض ساكنيها. في هذه المدرسة، عُلّقت لوحة تمثّل الخطوات الستّ من نهج "من طفل إلى طفل" خارج غرف الدرس. وعبّرت المديرة ونائبتها عن حماستيهما لهذه الطريقة، كما شارك خمسة معلّمين منها في ورشة عمل تمهيديّة عقدت في نيسان/أبريل ١٩٩٥.

قال المدرّس الأنشط في مشاركته بنهج "من طفل إلى طفل": "حضرت ورشة عمل على هذا النهج قبل عامٍ لكنّي لم أفهم ماذا عليَّ أن أفعل. لكن عندما قرأت أكثر بدأت أدرك الأمر بشكل أعمق. كان الموضوع الأول يتّصل بالنظافة، وقد اختاره المدرّسون لأنه حاضر دوماً. وبما أن المدرسة تقع قرب ماء آسن، فقد حدّدت الطالبات موضوع تكاثر البعوض والملاريا ليعالجنه، وقمن بمسحٍ عامٍّ لحالات الإصابة بالملاريا عبر طرح أسئلة على كل التلميذات، والتوجُّه إلى العائلات لجمع المعلومات وتسجيل عدد الإصابات، كما قدَّمْنَ النصائح حول تشبيك النوافذ. وكذلك بادرت فتيات أعمارهن بين ١٣ عاماً و١٤ عاماً إلى توجيه النصح والإرشاد الصحّي لتلميذات السنتين الأولى والثانية". ويضيف: "في كل قاعة درس ثماني متطوّعات يعملن وفق نهج "من طفل إلى طفل"، ولكل فريق قائدة. أما

المهام فيتشارك الجميع في إنجازها. على سبيل المثال، تتولّى مجموعة تصميم الملصقات وتنفيذها، بينما تقوم مجموعةٌ أخرى بزيارة المنازل بعد الدوام المدرسي. معظم نشاطات "من طفل إلى طفل" لامنهجية، لكني الآن ـ وبعد آخر ورشة عمل في نيسان/أبريل ١٩٩٦ ـ أرى بوضوح كيف يمكن إدراج هذا النشاط ضمن عددٍ من الموضوعات".

ويُكمل: "الطابور الصباحي فرصةٌ لتقديم نصائح "من طفل إلى طفل"، كما حصلت بعض النشاطات، كإعادة تسييج المدرسة وتحديد مصادر الماء الآسن، ضمن ساعات الدوام، إلا أن معظم نشاطات "من طفل إلى طفل" تنفَّذ خارج المدرسة".

إحدى الأمهات وبعض الفتيات أبدين ملاحظةً مفادها أن ما يشغلهنّ في أوقات الفراغ قليلٌ جداً وأن نهج "من طفل إلى طفل" مكّنهم من تحمّل المزيد من المسؤوليّات. فعلى سبيل المثال، اقترح أطفال في المدرسة جمع تبرّعات بغية بناء ملعب لكل أطفال الجوار إذ إن ساحات اللّعب في عدن غير آمنة.

إلى ذلك، وفّر نهج "من طفل إلى طفل" متنفّساً للأنشطة الإبداعية وهذا ما ظهر في اهتمام الفتيات بمشاركة معرفتهنّ مع تلميذات يصغرنهنّ سنّاً.

نائبة المديرة قالت إن المدرسة كانت حسنة التنظيم قبل انتهاجها "من طفل إلى طفل"، إلا أن هذا النهج الجديد عزّز الممارسة الجيدة التي كانت سائدة. وقارنت بين تجربتها الحالية وتلك السابقة حين كانت في مدرسة البنين المجاورة حيث "كانت الحياةُ صعبةً للغاية". أما المعلّمون فأجمعوا على أن الدعم الذي توفّره المديرة له تأثير كبير، لأن الأشياء معها تصبح قابلة للتنفيذ: "ما يجب أن يتمَّ، يتمُّ فعلاً".

مدرسة البساتين

البساتين ناحية من نواحي عدن يسكنها مواطنون من أصل يمني عادوا إلى البلد بعد أجيال أمضوها في الصومال، وفي دول أفريقيّة أخرى وفي المملكة العربية السعوديّة وبلدان الخليج. لم تعد اللغةُ العربية اللغةَ الأم لكثير منهم، كما تعكس ثقافتهم ثقافة أهالي البلد الذي جاؤوا منه. البساتين منطقة فقيرة يغلب عليها الشعور بأنها انتقالية. دُمِّرت أول مدرسة بناها المجتمع المحلّي هناك جزئياً بفعل الحرب ولهذا جرى بناء مدرسة أخرى، فبدت كالواحة في الصحراء: إذ كانت حديقتها غنية بالورود وجدرانها الخارجية مزيَّنة بملصقات كبيرة تصوِّر مشاهد من أفريقيا.

قال مدير الدروس: "في البداية، استغربنا جميعاً فكرة طفل يعلِّم طفلاً آخر، وبعدها فهمت أن الأمر عبارة عن سلسلة: فمن معلِّم إلى طفل ومن طفل إلى طفل إلى عائلة ومجتمع".

وأضاف مدرِّسٌ: "كان لدينا برنامجنا الخاص في المدرسة، لكن بعد أن حضرنا أول دورة تدريبية على نهج "من طفل إلى طفل"، قام كل مدرِّسٍ ذي خبرةٍ بنهج "من طفل إلى طفل" بمناقشة موضوع يتعلق بالصحّة مع مدرِّسين آخرين، ثم درَّسوا جميعاً هذه المواضيع الصحّيّة للأطفال. لدينا صور وملصقات عديدة عن الورشة تساعدنا في شرحِ المواضيع كوسائل الاهتمام بالطفل المحموم أو إعداد محلول معالجة التجفاف. وبعد مضيّ شهرين على ورشة العمل، وإثر انتهاء الامتحانات، قرّرنا نشر هذه الرسائل الصحّية بين العائلات. البساتين مقسومة إلى ١٢ حيّاً، ويتراوح عدد العائلات في كل حيٍّ بين ٤٠٠ عائلة كحدّ أقصى و١٥٠ عائلة كحدّ أدنى. رافقني ١٢ تلميذاً وحملنا معنا القصص والصور بهدف إيصال هذه النصائح إلى الأطفال الذين لم يدخلوا المدرسة. كان وجود المدرِّس مع التلاميذ مهمّاً جداً كي يشرح للراشدين أن الأطفال حضروا إليهم ليقدِّموا الرسائل الصحّية".

ويتابع قائلاً: "كانت الحاجة ماسةً إلى رفع مستوى الوعي في ما يتعلّق بالألغام، إذ إن هذه الناحية كانت مسرحاً للعمليات العسكرية أثناء الحرب. وإلى جانب الألغام، يجب توعية الناس حول أعراض الملاريا وطرق مساعدة طفل محموم ومعالجة الإسهال والتجفاف. الناس هنا في فقر مدقع ويصعب عليهم الحصول على المساعدة الطبّية. في كل الأحوال، أجابنا البعض: "إننا فقراء والاستماع إلى هذه النصائح تَرَفٌ لا نقدر عليه". لكن ثمّة عائلات أخرى رحّبت بنا، وانفرد تلامذتي بالأطفال الآخرين يقرأون عليهم القصص كتلك التي تتحدّث عن الذباب والأمراض. بعد ذلك، حضر بعض الأهالي إلى المدرس لشكرنا على ما قمنا به".

وزاد مدرِّس آخر على ما قيل: "بما أن كل المدرِّسين على علمٍ بنهج "من طفل إلى طفل"، فإن الأنشطة مدرجة ضمن دروس التربية الصحية، والمواضيع الصحّية، كالنظافة مثلاً، مدرجة ضمن المواضيع الدراسيّة الأخرى. فأنا على سبيل المثال، أُعلِّم دروس الدين وأن النظافة من الإيمان؛ كما يقوم مدرِّس اللغة العربية بتضمين القصص إرشادات ونصائح صحّية".

وينهي حديثه بالقول: "لدينا فريق يضمّ أربعين طفلاً لأنشطة "من طفل إلى طفل" في المدرسة الصباحية. ففي الصباح نصبُّ اهتمامنا على الأطفال الأصغر سناً، إذ ان تغيير عاداتهم أسهل من تغيير عادات الأكبر سناً. تزور فِرَق "من طفل إلى طفل" قاعات الدرس لتراقب النظافة فيها، فإن وجدتها غير نظيفة ساعدت الأطفال الآخرين على التقاط الفضلات والأوساخ. فالأطفال الكبار يشعرون بمسؤولية تجاه الأصغر سناً ولهذا يهتمّون بنظافتهم، كأن يراقبوا نظافة أظافرهم".

بديرة في السابعة من عمرها تعرف كيف تهتم بطفل محموم، قالت: "إن مرضت صديقةٌ لي أهتمُّ بها. فالطفل قادر على مساعدة طفل آخر".

أما حسّان فقال: "إني قادر على التأكّد من نظافة أخي الأصغر قبل ذهابه إلى المدرسة. ونحن ذهبنا إلى المنازل لنرشد الأهالي فاستقبلونا بالترحاب وهذا أسعدنا جداً. لقد زرت عائلات عديدة وحذّرتهم من مغبّة السماح لأطفالهم باللعب في ضواحي البلدة إذ إن الألغام ما تزال مدفونة هناك وهذا خطر يتهدّدهم".

في البداية، اشترك ثلاثة مدرِّسين في ورشة العمل التمهيديّة في آذار/مارس ١٩٩٥، تبعتها ورشة أخرى في حزيران/يونيو ضمّت كل الفريق، ربما ساهمت في إثارة حماسة المدارس الأخرى لانتهاج "من طفل إلى طفل". آخر النشاطات كان حفلاً موسيقياً حضره ٤٠٠ شخص من ناحية البساتين.

مدرسة القدس

تقع مدرسة القدس في مديرية الشعب التي كانت مسرحاً للقتال العنيف خلال الحرب. شاركت مديرة المدرسة والمدرِّسون في أول ورشة عمل على برنامج "من طفل إلى طفل" نُظِّمت في عدن في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٤. نتيجة لهذه الورشة، صارت مديرة المدرسة مدرِّباً وعضواً في لجنة جمعية "من

طفل إلى طفل" المقترح إنشاؤها في عدن. وشيئاً فشيئاً، صار نهج "من طفل إلى طفل" جزءاً متمِّماً للحياة المدرسية.

وفي ما يلي شرحاً قدَّمه بعض الأطفال:

"أخبرتنا مديرة المدرسة عن نهج "من طفل إلى طفل" وسألت عن متطوّعين لينتظموا في مجموعات. في البداية، اقتصر عملنا على تقديم النصائح الصحّية في الاجتماعات. بعد ذلك، سلَّمتنا بعض الكرّاسات والقصص لندرسها ونعلِّمها لأطفال أصغر سناً حين تسنح الفرصة، أي حين يغيب مدرِّس الصف. وساعدنا العامل الصحّي والمديرة لنقرّر المواضيع التي يجب أن نهتم بها، لكن غالبية الأفكار تصدر الآن منّا".

"قبل أن نتعرّف إلى نهج "من طفل إلى طفل" اقتصر تعليم النظافة والصحة على الدروس النظرية، فكنّا نحفظ المعلومات عن ظهر قلب لننال العلامات العالية. أما اليوم، فنقوم بالأنشطة التطبيقية كالتأكد من نظافة الأطفال الصغار ورسم اللوحات وتأليف القصص حول الصحة وكيف نحافظ عليها، وإقامة العروض المسرحية كالعرض الذي يتناول الأمراض الستة القاتلة، وتعلُّم الإسعافات الأولية".

وعرضت مديرة المدرسة كيف تعرّفت إلى نهج "من طفل إلى طفل": "إني مديرة هذه

المدرسة الواقعة في منطقة نائية منذ ستّ سنوات، يرتادها أطفال فقراء من القرى المجاورة. قبل الحرب، كانت هذه المنطقة عامرة ببيوت فخمة تعود للوزراء والسفراء، ولهذا تجد المنطقة والمدرسة مسرحاً لخليط من الأطفال ينتمون لبيئات ثقافية مختلفة.

في العام ١٩٩٤، شاركت في أعمال أول ورشة عمل عن برنامج "من طفل إلى طفل" التي أقامها مدرّسون من تعز، فكانت تمهيداً لنهج "من طفل إلى طفل". في البداية، لم أعرف كيف أعدّ نشاطاً من هذه الأفكار الجديدة، لكن في نهاية الأيام الأربعة أدركت فعلاً كيفية الخروج بنشاط ما. طبّقت بعض الأفكار حول النظافة وغيرها لكنها لم تكن مطابقة لنهج "من طفل إلى طفل". الموضوع الذي جعلنا نفهم فعلياً كيفية اعتماد هذا النهج كان مشكلة الألغام الأرضية الخطرة وهذا ما حصل.

أثناء الحرب، تحوّلت المدرسة إلى موقع عسكري. وقبل استئناف الدروس قرّرت التأكّد فعلاً من خلوّ المدرسة من الألغام. فحضر فريقٌ مكلّفٌ إزالتها واعتقدنا أننا صرنا في مأمنٍ من أخطارها. لكن أرض المدرسة رملية، وعندما هبّت الريح، تكشّف الرمل عن جسمٍ معدني لا يشبه اللغم أبداً. التقطه طفل وحمله إلى منزله. وحين كان يلهو به، انفجر وأدّى إلى مقتل ثلاثة أطفال وجرح والد الطفل جراحاً بليغة وفقدت طفلة يدها وما زالت الشظايا في جسم طفل آخر. هذا حدث في ٢ تموز/ يوليو ١٩٩٥.

إثر ذلك، وجّه الأطفال الرسائل إلى اليونيسيف والصليب الأحمر وجمعيات حقوق الطفل ووزارتي التربية والدفاع ورادّا بارنِ يطلبون تأمين مدرستهم".

"كل ذلك حفّزنا لنعمل. اليوم، لدينا مجموعات "من طفل إلى طفل" تضمّ كلّ منها بين ١٢ و١٥ طفلاً يتصدّون لموضوعات مختلفة. فبعضهم مثلاً يتعلّم قوانين الإسعاف الأولي وآخرون يشكّلون فرق توعية بمخاطر الألغام وغيرهم في مجموعات تُعنى نظافة الحدائق. ولكل مجموعة مخطّطها العملي للفصل الدراسي".

"لقد تجاوزنا فعلاً مرحلة قيام المدرّسين بتقديم النصح والإرشاد للأطفال، إذ حل محلهم أطفال يستنبطون الأفكار، تدفعهم حماستهم إلى بذل الجهد وإلى تخطيط زيارات لمدارس أخرى يقدمون فيها شروحاً عن نهج "من طفل إلى طفل".

وتتحدّث والدة إشراق عن مشاعرها حيال نهج "من طفل إلى طفل"، فتقول: "أنا معجبةٌ ببرنامج "من طفل إلى طفل" إذ لاحظت الفرق في حالة ابنتي. فهي الآن أكثر ثقة بنفسها. لطالما كانت تحب الرسم، لكن رسمها كان مقصوراً على الثياب، أما اليوم فقد اغتنت أفكارها وباتت ترسم لوحات ذات الموضوعات الصحّية ورسوم القصص. أعدت بطاقات التحصين وقدّمت واحدةً منها لجارتنا التي لم تحصّن أطفالها بتلقيحهم. لم تهتم الجارة في البداية، لكن بعد حين سألتني لِمَ صنعت إشراق هذه البطاقات،

فأجبتها: "اسألي إشراق، هذا عملها وهي من يشرح لك الأمر". وقامت إشراق تعلّمها وتعرّفها إلى فوائد التلقيح فاقتنعت جارتنا اصطحبت أولادها إلى المستوصف لتحصّنهم ضدّ الأمراض".

مدرسة ٢٦ أيلول/ سبتمبر

في هذه المدرسة مدير متحمّس شارك إلى جانب أربعة مدرّسين آخرين في أول دورة تدريبية على نهج "من طفل إلى طفل" انعقدت في عدن في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٤. وهو اليوم يتولّى التدريب في الدورات التدريبية.

بعد التدريب الأوّلي، عقد المدير اجتماعاً للمدرّسين حول نهج "من طفل إلى طفل" وفيه: "قرّر المدرّسون تنفيذ هذا النهج في الصفّين الثاني والثامن، واتفقنا على أن تكون النظافة موضوع الأطفال الصغار وأن يكون الإسهال موضوع الأطفال الأكبر سناً. كان العمل على هذين الموضوعين يتمّ خلال ساعات الفراغ، أي خلال أربع حصص في الصف الثاني وحصّتين في الصف الثامن. في العام المقبل، سنختار الإسعافات الأولية وصناعة الألعاب التي يتولّى الأكبر سناً مهمة تعليمها للأصغر سناً، ونخطّط لتوسيع هذه الأنشطة إلى الصفّين الثالث والخامس".

علّق أحد المدرّسين قائلاً: "أعتقد كمدرّس أن "من طفل إلى طفل" يفعّل الاهتمام بالمواضيع الصحّية ويجعلها أكثر متعة في نظر الأطفال، كما يحوّل الأنشطة إلى ممارسات عملية".

وقال أعضاء في مجموعات "من طفل إلى طفل": "إن "من طفل إلى طفل" يعني تقديم الإرشادات الصحية لأطفال أصغر سناً في المدرسة وفي مجتمعنا المحلّي".

روضة الضياء للأطفال

في روضة الضياء، يظهر الفرق بين المدرسة ومحيطها جلياً جداً. فالروضة هادئة ونظيفة بينما المحيط هضاب من النفايات ترعى فيها قطعان الأغنام ويلهو في أرجائها الأطفال.

حضرت مديرة الروضة ورشة عمل "من طفل إلى طفل" التمهيدية في آذار/مارس ١٩٩٦، وكذلك الورشة التي انعقدت في نيسان/أبريل ١٩٩٦. تقول: "بعد ورشة "من طفل إلى طفل" الأولى، تباحثت والمدرّسين في الروضة في الأهداف التي عرضتها الورشة، وتوافقنا حول مخطط عمل يتعلّق بالنظافة البيئية. حدّث المدرّسون الأطفال عن النصائح التي يمكن أن يقدّموها، فلاحظت طفلة أنها نبّهت جارتها ألا ترمي

الأوساخ في الشارع. الفارق اليوم هو إشراكنا الأطفال إشراكاً أوسع واستماعنا إليهم أكثر وتفكيرنا في مسائل خارج نطاق المدرسة. فعلى سبيل المثال، رفع الأطفال رسالةً إلى السلطات البلدية قالوا فيها إن للأطفال الحق في بيئة نظيفة وطالبوهم بإزالة النفايات المهملة الموجودة حول المدرسة. موقف هؤلاء الأطفال حيال مساعدة بعضهم بعضاً في المدرسة جيدٌ، وهم الآن يتولّون الإرشاد خارج المدرسة. فنهج "من طفل إلى طفل" يمدّ الأطفال بالثقة بالنفس، ويحمّلهم المسؤولية التي تجعل كل واحد منهم يشعر وكأنه رئيسٌ".

روضة صيره للأطفال

روضة صيره مكانٌ بهيجٌ. فبعد دمارها الكامل خلال الحرب، أُعيد بناؤها وجمّلت بالأشجار والأزهار، وعُلّقت على جدران قاعاتها نتاجات إبداع التلاميذ والمدرّسين. زار محافظ عدن هذه الروضة تلبية لطلب الأطفال وذلك من أجل تنظيم حملة ترميم جدران أضرّ بها الماء المتسرِّب إليها من الأنابيب التالفة.

في هذه الروضة مجموعتان متطوّعتان تتألّف كل منهما من ١٥ طفلاً من بين ٥٠٠ طفل يرتادونها.

قال أحد المدرّسين: "لقد رفع برنامج "من طفل إلى طفل" مستوى الإبداع عند المعلّمين وساهم في إشراك الأطفال كمتطوّعين. بعد ورشة عمل "من طفل إلى طفل" التي انعقدت في نيسان/أبريل ١٩٩٦، كان أوّل ما فعلتُ هو التوجُّه إلى كل المدرسة خلال الاجتماع العام وعرض مخطط عمل محوره الأول النظافة الفردية. فهذا الموضوع مناسب ليدخل ضمن المنهاج. ولأن الأطفال صغارٌ وعاجزون عن القيام بحملات المسح، ابتدعنا طريقةً جديدة في الإحصاء تقوم على صنع مغلّفات رسمنا عليها عيوناً أو أياد أو غيرها، وكان على الأطفال أن يلتقوا من هم أصغر منهم سنّاً ويراقبوا نظافة أظافرهم مثلاً، وأن يضعوا عود ثقاب في المغلّف كلما رأوا طفلاً أظافره متّسخة، على أن يلاحظوهم في اليوم التالي ويتابعوا حالتهم".

في كلا الروضتين الجوٌّ إيجابيٌّ، ولهذا تعتبران مثالين يُحذى حذوهما في الحضانات والمدارس الأخرى.

أفكار للعمل

في كل هذه المدارس الواقعة في عدن، تجذّر برنامج "من طفل إلى طفل" وأنتج نتاجاً مثيراً. ففي المدارس التي زرتها وجدتُ مديرين داعمين ومدرّسين مهتمّين وذوي

مخيلات خصبة. حتى في المدارس التي لم يفهم مدرّسوها الفكرة فهماً تاماً (بحسب تقييم المدرّسين أنفسهم)، أدّت المعرفة بأدوات "من طفل إلى طفل" والمساهمة في أنشطة "من طفل إلى طفل" إلى مدرسة أنظف وأجواء تعلّم أكثر فاعلية بالنسبة إلى الأطفال وإلى تطوّر مهني لدى المدرّسين. وقد استطاع الأطفال ومعلّموهم التعبير عن كيفية تطور برنامج "من طفل إلى طفل" في مدارسهم.

في هذه المدارس، كان واضحاً مشاركة الأطفال الفاعلة في المواضيع المتّصلة بالصحة وذلك من خلال العروض المسرحية وأداء الأغنيات واستخدام وسائل الإيضاح المرئية المثيرة للاهتمام. أما اشتراك هؤلاء الأطفال في مسألة اختيار المواضيع وفي التفاعل مع مجتمعهم المحلي كجزء من عملية البحث والاستكشاف، فكان أقل وضوحاً من المسائل الأخرى. والبرنامج هذا لا يزال يُعتبر نشاطاً إضافياً إذ لم يُدرج إدراجاً مكيناً ضمن المنهاج في مدرستين من هذه المدارس. في كل الأحوال، فإن اختيار المدرّسين الذين يعلمون مواضيع أكثر مرونة وتقبلاً لنهج "من طفل إلى طفل" يجعل من هذا الأمر ممكناً في المستقبل، وهذا كان رأي وتوجه المدرّسين الذين التقيتهم.

أما المصاعب التي واجهت تطبيق أنشطة "من طفل إلى طفل"، فكانت:

- نقص التمويل.
- نقص وسائل الإيضاح التعليمية.
- خيبة أمل سببها أن الأطفال لا يبدلون دائماً عاداتهم.
- العمل مع مجموعات من أطفال مختلفة أعمارهم.
- قصر الوقت الرسمي المخصص لتطبيق أنشطة "من طفل إلى طفل" في المدارس.

عبَّر الجميع عن رغبتهم في تبادل المزيد من الزيارات بين المدارس. واعتبرت رادّا بارنِن الزيارات التي قامت بها مدارس الشعب ولحج وأبين إلى تعز، عملاً ناجحاً.

ملحق

منذ زيارتي في نيسان/أبريل ١٩٩٦، قدّم تقرير رادّا بارنِن عن أنشطة "من طفل إلى طفل" التي طبقت في المحافظات الجنوبية معلومات إضافية (انظر الإطار ٢).

مؤخراً، وصلنا أن جمعيات تتبع المثال الذي في تعز سعى للتسجيل لدى وزارة الضمان والشؤون الاجتماعية والعمل في محافظتي عدن وأبين وذلك دعماً للأنشطة المدرسية. وثمّة مخطّطات لجمعيات مشابهة في محافظتي لحج والمكلاّ. وتلعب رادّا بارنِن دوراً مهماً حداً في استدامة قوّة برنامج "من طفل إلى طفل" في اليمن من خلال التشجيع المستمرّ والمشاركة في الأنشطة.

إطار ٢

مقاطع من تقرير عن أنشطة "من طفل إلى طفل" في العام ١٩٩٦، بقلم أحلام هبة الله، رادا بارنِن . عدن.

نفذت مدارس "من طفل إلى طفل" البرنامج في مستويات دراسية مختلفة، بعضها أكثر نشاطاً من البعض الآخر. ويعتمد التنفيذ الجيد على عوامل عديدة كطباع المدرّسين المشاركين الشخصية وإيمانهم بالبرنامج وتعاون إدارة المدرسة ودعمها ومشاركة الأطفال.

مدرسة القدس: هذه المدرسة مثالٌ جيّدٌ إذ إن تلامذتها ومدرِّسيها ينفِّذون أنشطة "من طفل إلى طفل" باستمرار. فالأطفال يختارون ورقة النشاط الذي يودّون تنفيذه ويحفظون كل الأوراق المتعلّقة بهذا النشاط في ملفٍّ أطلقوا عليه اسم "ملف أنشطة من طفل إلى طفل" وتراهم يتعاونون ويهتمّون بالأطفال الصغار في الروضة الأقرب إلى مدرستهم.

مدرسة البساتين: يجتمع فريق "من طفل إلى طفل" كل يوم خميس، وهو الفريق الذي أخذ على عاتقه مسؤولية نظافة الملاعب وقاعات الدرس والمراحيض في المدرسة. هذه المدرسة نموذجٌ جيّدٌ لتغيُّر الاتجاهات والمواقف وتحسين السلوك.

روضة صيره: يتولّى الأطفال الطابور الصباحي بأنفسهم. كما يقوم الأكبر سنّاً بإرشاد الصغار عن كيفية استعمال المراحيض وغسل اليدين بعدها.

مدرسة عمر بن عبد العزيز: خلال حملتي التلقيح، أجرى الأطفال إحصاءات شملت أطفال المنطقة الذين يحتاجون للتلقيح وساعدوا في إخضاعهم لهذا التلقيح.

مدرستيّ الشوكاني وعمر المختار: أحصى الأطفالُ الأطفالَ المصابين بالأمراض في المدرسة، ما سهَّل عمل قسم الصحّة المدرسية. كما أنجزوا نشاطاً خاصاً خلال حملة التوعية من خطر الألغام إذ استخدموا جرائد الحائط والعروض المسرحية والأغنيات للتنبيه إلى ذلك الخطر.

مدرسة الطويلة: وجد الأطفال حلاً لمشكلة نقص الكراسي في مدرستهم، فقد قاموا بإصلاح المكسور منها. لديهم الآن ١٤٠٠ كرسي إضافي. وقد صرَّح المدير أنه تعلَّم من الأطفال إصلاح ما ينكسر من الأشياء.

مدرسة بازرعة: أنجز فريق "من طفل إلى طفل" ورقة نشاط تتعلّق بكيفية مساعدة الأطفال المعوزين، فجمعوا المال من القادرين على دفعه بغية إعانة الآخرين في دفع أقساط المدرسة و/أو تقديم الفطور الصباحي لهم.

اليمن ـ نحو مستقبل صحّي:

أفكار في إدخال نهج من "طفل إلى طفل" في مدارس مخيمات اللاجئين الصوماليين الابتدائية

ليبان عبد الكريم أحمد*

مقدمة

قامت مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية في الجمهورية اليمنية، بدايةً، في مخيم الشعب القريب من عدن في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٢، بدعم من "رادّا بارنِن" (رعاية الأطفال السويدية) والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة.

بعد قيام هذه المدرسة، بدأت الأنشطة الإبداعيّة فيها تتبلور متضمّنةً مسابقاتٍ في الرسم وعروضاً غنائية وقصصيّة، كما قام التلاميذ ـ تحت إشراف معلميهم وبمساعدتهم ـ بمسحٍ شاملٍ لإحصاء الأطفال المعوقين في المخيم. لقد جرى دمجُ معظم هذه الأنشطة بالدروس اليومية، وتبيّن أن دورها كبير في مساعدةِ الأطفال على احتمال ذكريات الحرب الأهلية في بلدهم الصومال وذكريات الهجرة القسرية في أهوال البحر الذي كان يفصلهم عن هذا البلد.

وقبل بدء السنة المدرسية الثانية في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣، انتقلت المدرسة إلى مخيم "الكود" الجديد شرق عدن، في الوقت نفسه الذي انتقل إليه اللاجئون الصوماليون.

عَلِمَ معلمو هذه المدرسة بنهج "من طفل إلى طفل" بفضل نشرة صحّيّة تضمّنت مقالة عن هذا النهج.

ويتذكر أحدهم المقالة فيقول فيها: "كانت مقالةً مقنعةً فتحت أعيننا على نهج "من طفل إلى طفل" لاعتماده في التربية الصحية الأولية لصالح الطفل والعائلة والمجتمع المحلي".

سأل المعلمون أعضاء فريق رادّا بارنِن في عدن عن مواد تتناول نهج "من طفل إلى طفل"، فقدموا لهم كتاب "من طفل إلى طفل وأطفال المخيمات". وبعد أن قرأه المعلمون ملياً، ارتأوا أن يترجموا مقاطع منه إلى الصومالية إذ تمكنهم الترجمة من تقييم صلته ببرنامج الدراسة الموقت حينذاك. وقد قال أستاذ الرياضيات حسين سعيد جامع: "أثناء ترجمتنا أول أجزاء الكتاب كان علينا مواجهة مهمّةٍ في غاية الصعوبة وهي الوقوع على كلمات صومالية مرادفة للإنكليزية، يمكن استخدامها من دون التصرف بمعنى الرسائل الصحية التي يحتويها هذا الكتاب".

* ليبان عبد الكريم أحمد معلّم في مدرسة ابتدائية مخصّصة للاجئين الصوماليين في الجمهورية اليمنية. وقد قام بتشجيع اعتماد برنامج "من طفل إلى طفل" بحماسةٍ في تلك المدرسة منذ نشوئها.

فضلاً عن ذلك، طرأت حاجة أساسية تتمثل في رفع مستوى معرفة المعلمين الصحّية، فأقام فريق رادّا بارنِن وجمعية "أطباء بلا حدود" حلقة دراسية مشتركة دامت ثلاثة أيام في كانون الثاني/ يناير ١٩٩٤.

لسوء الحظ، أحبطت الحرب الأهلية اليمنية، التي اندلعت في العام ١٩٩٤، التطبيق العملي لفصلين من فصول كتاب "من طفل إلى طفل وأطفال المخيمات"، وأوقفت البرنامج التربوي في المخيمات، إذ فرّ اللاجئون من أهوال هذه الحرب وتعرّض بناء المدرسة للتدمير.

البداية الجديدة: السنة المدرسية ١٩٩٤ - ١٩٩٥

في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٤، أُعيد افتتاح المدرسة الابتدائية في مخيم الجحين حيث نزح اللاجئون.

أقيم المخيم في حظائر سابقة للطائرات تستخدم اليوم مخازن حكومية للخضار، في محافظة ابين القاحلة على مسيرة ٤ ساعات من عدن.

بعد ذلك، قابل المعلمون عدداً محدوداً من الأطفال وأهاليهم في إطار دراسة حالة هدفها تعريف رادّا بارنِن بمشاعر الأطفال المتأثرين بالحرب وبحاجاتهم العاطفية. استفاد المدرّسون المشاركون في تلك الدراسة من مواد "من طفل إلى طفل" المتوفرة بين أيديهم، كما أكملوا ترجمة الفصول الأخرى من كتاب "من طفل إلى طفل وأطفال المخيّمات" بحماسة متجددة.

ورشة عمل "من طفل إلى طفل" الأولى

في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٤، قام فريق رادّا بارنِن بزيارة إلى المدرسة الابتدائية لمراقبة البرنامج التعليمي المعمول به ولتنظيم ورشة عمل تدريبية على نهج "من طفل إلى طفل" للمدرّسين. رفعت هذه الزيارة معنويات المدرّسين الذين وجدوا المرادف الصومالي لـ"من طفل إلى طفل": "إسكاشي أغونيدكا كادرورتا"، أي "التعاون التربوي بين الأطفال".

وبين ٢٦ و٢٩ آذار/ مارس ١٩٩٥، نظم فريق رادّا بارنِن بالتعاون مع جمعية "من طفل إلى طفل" اليمنية في مدينة تعز ورشة عمل لأربعة أيام في المدرسة الابتدائية في عدن. قدمت الورشة للمدرّسين صورة واضحة لنهج "من طفل إلى طفل" والمواد التي يعتمدها (أوراق أنشطة، قصص "من طفل إلى طفل"، كتاب التدريب والتقييم، وكتاب الأنشطة) وخصوصاً فيما يتعلّق بمفهوم الرعاية الصحية الأولية.

وبعد أن انعقدت هذه الورشة بنجاح في عدن، اجتمعت إدارة المدرسة والمدرسون في حرم المدرسة، ودار النقاش بينهم حول محورين أساسيين:

١ - دمج أفكار "من طفل إلى طفل" في مناهج التعليم المدرسية.

٢ - اعتماد نهج "من طفل إلى طفل" في مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية وفي المخيّم.

استطاع التلاميذ حقًا فهم طريقة "من طفل إلى طفل" وذلك عن طريق اعتماد وسيلة تعريف فاعلة بواسطة الشروح الشفهية خلال الاجتماع الصباحي، واتّضح أنهم استفادوا منها. فعلى سبيل المثال، استعان معلمو الحضانة والصف الابتدائي الأول بملصقات كبيرة رسمها تلامذة من الصفين الابتدائيين الثالث والرابع بغية تعليم تلاميذهم أسس الصحة الشخصية السليمة والطعام المغذّي.

احتفال "من طفل إلى طفل"

في ٦ حزيران/يونيو ١٩٩٥، أقيم احتفال في حرم المدرسة بمناسبة اعتماد نهج "من طفل إلى طفل"، حضره فريق رادّا بارنِن إلى جانب جمع كبير من سكان مخيم الجحين الذين فوجئوا فعلاً بما لأطفالهم من قدرات استخدموها في تعبيرهم عن معرفتهم الصحّية، إذ شارك تلامذة الصفوف الثاني والثالث والرابع الابتدائية - أعمارهم بين ٧ و١٥ عاماً - في تقديم مسرحية ومعرض صحّيين. وبهذه المناسبة صرح رجل ذو مقام رفيع بين كبار المخيم قال فيه: "إننا نجني ثمار شجرة زرعتها رادّا بارنِن. ففي هذا الاحتفال يسترجع أطفالنا ما تلقّوه في فترة قصيرة. إننا على يقين بأن أطفالنا مسلّحون بالمعرفة الصحية المفيدة للمجتمع المحلي كله".

العام المدرسي ١٩٩٥ - ١٩٩٦

بفضل وسائل التلاميذ المبتكرة والمثيرة للحماسة وتوفُّر كتب التربية الصحّية والكثير من المواد المتعلقة بنهج "من طفل إلى طفل"، قدّمت المدرسة والمدرسون قوةً دافعةً جديدةً لأنشطة "من طفل إلى طفل" بُعيْد بدء العام الدراسي (١٩٩٥ - ١٩٩٦) بوقت قصير. فتشكلت لجنة للصحة المدرسية قوامها تلاميذ ومعلمون وعاملون صحّيون وأهالٍ تعقد لقاءاتها بشكلٍ دوري (الإطار ١).

وفي الخامس من كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٥، أقيم احتفال آخر لنهج "من طفل إلى طفل" في حرم المدرسة الابتدائية حضره المسؤول عن برنامج رادّا بارنِن وتلامذة من مدرسة القدس في عَدن، حيث جرت "توأمة" المدرستين اللتين أقرّتا أنشطة "من طفل

إلى طفل" ضمن أنشطتهما. زيّن تلامذة مدرسة القدس الحدث بالأغنيات اليمنية والرقصات التراثية، بينما قدّم تلامذة مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية عرضاً مسرحياً صحياً يدور حول محاور عديدة هي الإرضاع الطبيعي، التحصين، ومراقبة النمو ومساعدة الأطفال في الظروف الصعبة. في نهاية هذا الحدث، جرت مسابقة بين مجموعة من تلامذة مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية ومجموعة من تلامذة مدرسة القدس على نهج "من طفل إلى طفل"، ففاز التلامذة الصوماليون.

إطار ١

محضر اجتماع لجنة الصحة المدرسية

في مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية، ٧١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٦

ليبان عبد الكريم أحمد (مدرّس): أهم بنود جدول أعمال جلستنا اليوم هو أن نضع مخططاً للعمل المدرسي، لكن لنتذكر أولاً أسس نهج "من طفل إلى طفل": طفل يساعد طفلاً أصغر منه أو طفلاً في مثل سنّه، وأطفال يساهمون مساهمة فعّالة في الجهود المبذولة لتقديم العلوم الصحية الأساسية إلى العائلات.

في إطار العمل المدرسي، نواجه مشكلتين صحّيتين ضاغطتين:

- ارتفاع حالات الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي، لا سيما وأننا في فصل الشتاء.
- خلال الشهور الثلاثة الأخيرة، تضاعفت الحوادث في المنازل والطرقات.
- على أي موضوع نصبّ تركيزنا في الفصل الأول من العام الدراسي الحالي؟ (اتفق أعضاء لجنة الصحة على اختيار الموضوع بالتصويت).
- من يصوّت لصالح موضوع أمراض الجهاز التنفسي؟ (رفع ثمانية أعضاء أيديهم وعبّروا صراحة عن تفضيلهم هذا الموضوع). ومن يصوّت لصالح موضوع "الحوادث"؟ (صوّت اثنا عشر عضواً لصالح هذا الموضوع).

علي حسن (عامل صحي): لقد تأثرت فعلاً بقدرة تلاميذي على إعطاء الأولوية للمشكلات الصحية التي ينبغي مواجهتها جماعياً. إن هذه المدرسة تعزّز الممارسات الصحية السليمة في المخيم، وأنتم (أيها التلاميذ) في مقدمة القائمين بهذا الأمر من خلال نهج "من طفل إلى طفل".

وقبل أن تقوموا بنقل المعلومات الصحّية أو تعليم أطفال آخرين الممارسات الصحية السليمة، يجب أن تكون هذه المدرسة مثالاً يُقتدى به في هذه الممارسات. إني واثق من قدرتكم على تعليم الناس إنْ كنتم مثالاً لهم، فالتلميذ المهذب والنظيف يلفت أنظار أطفال وراشدين آخرين يقدمون على اتباع ممارسته الصحّية ومنافسته في تهذيبه ونظافته. كما أنها وسيلة فاعلة جداً. ونحن مستعدّون، كعاملين صحيين، لمدّكم بأي عون تحتاجون إليه بغية تعزيز الصحة العامة في المخيّم. علينا أن نقوّي تعاوننا في هذا الإطار.

علي إسماعيل جامع (مدرّس تربية صحّية): نجتمع هنا اليوم لنبحث في الخطوات

التحضيرية لخطة العمل المدرسي. لقد كان المدرّس هو الداعي إلى الاجتماع وكان عليكم (أيها التلاميذ) أن تكونوا منظّميه والداعين إليه وواضعي جدول أعماله. فنهج "من طفل إلى طفل" يقول بقيام الأطفال أنفسهم بتحديد مشكلاتهم الصحية ومعالجتها.

لقد بدأ معظمكم يطبّق ما تعلّمه، واتفقنا منذ لحظات على التركيز على موضوع "الحوادث". كيف تستطيعون رفع مستوى الوعي عند أصدقائكم في المخيم الذين لا ينتبهون إلى الحوادث التي تقع في الطرقات؟ كيف تمنعونهم من ركوب دراجاتهم الهوائية في الطرق الرئيسية والمناطق الصخرية قرب المخيّم؟ يتلخّص عملكم في تفسير كلمة "حادث" للناس. فلهؤلاء أفكار مختلفة عن الحوادث. إذ يعتقد بعضهم أنها لا تحصل إلا في الطرقات! عليكم تسليط الأضواء على الأسباب الرئيسة للحوادث المنزلية التي تحصل في المخيم. ولهذا أدعوكم إلى تخطيط أنشطة "من طفل إلى طفل" وتنظيمها.

محمّد أوسوبل (عامل صحي): يسرّني الحضور إلى هذه المدرسة لأشارك في الاجتماع. صحيح جداً أن الحوادث في الطرق والمنازل تزداد في المخيم، لكن لنتذكر أن ما يربط بين النصائح الصحية هو علاقة تبادلية. في الأسبوع الماضي، شرب أحد أطفال العنبر رقم ٨ البارافين. وقبل شهرين فقط نشرتم أيها التلاميذ النصائح عن الماء النظيف والآمن، لكن ينبغي التمييز بين الأوعية البلاستيكية التي تحتوي على ماء الاستخدام أو الشرب وتلك التي تحتوي على لسوائل الأخرى من بارافين أو وقود. لو فهم أهل الطفل هذه المعلومة لما وضعوا قارورة البارافين قرب الفرن في المطبخ حيث يستطيع الطفل الوصول إليها. إلى ذلك، ثمّة مراحيض عديدة دون غطاء تشكّل خطراً على أطفال عديدين يلعبون بقرب خزانات الماء.

يمكنكم أن تنبهونا إلى هذه المشكلات أو القيام بما يلزم لتخفيف أخطار الحوادث في مخيمكم. تستطيعون ذلك فلا تقلّلوا من أهميّة قدرتكم على تبديل موقف الناس تجاه الصحة، فقد تمكن أطفال في رومانيا من إطلاق حملة ناجحة مضادة للتدخين.

عبد الحميد أحمد (والد تلميذ وعضو في لجنة الصحة المدرسية): يسرّني أن أخبركم أن أنشطة "من طفل إلى طفل" الصيفية قد تركت انطباعاً جيداً عند غالبية سكان هذا المخيّم. فقد رأيت عائلات عديدة ميّزت الأوعية البلاستيكية المستخدمة لماء المراحيض. لقد رفعتم مستوى الوعي عند الناس في مسألة الماء النظيف والآمن، وهذا يجعلني أعتقد بوجوب صرف جهود كبيرة بغية نقل نهج "من طفل إلى طفل" إلى شعبنا في الصومال.

مريم محمّد عمر (الصف السادس): علينا نحن الطلاب أن نرسم الملصقات واللوحات التي تتناول موضوع الحوادث المنزلية، وذلك في سبيل إفهام جيراننا أن الأفران المشتعلة بالبرافين وأجهزة الغاز النقّالة تتسبّب بحوادث عديدة إن لم تُستخدم بانتباه تام. علينا أن نتأكد من أنهم فهموا النصيحة وعملوا بها.

أمل إسماعيل أبو بكر (الصف السادس): إن الجو البارد الذي حلّ لتوِّه يتسبّب بمشكلة صحّية أخرى، فأطفال كثيرون مصابون بالتهاب الرئة، علينا التصدي لهذه المشكلة أيضاً.

تدريب المدرّبين

في كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦، نظّم فريق رادّا بارنِن في عدن ورشة عمل تدريبية لمدرسي مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية، فكانت هذه فرصة لتحسين قدرات المدرّسين ومناقشة سبل استخراج مواد إيضاحية تعليمية من مواد متوفرة محلياً.

إحياء الأنشطة

خلال إجازة نصف السنة للعام الدراسي ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦، اختارت إدارة المدرسة من بين المدرّسين مجموعات للنشاط المدرسي بينها مجموعة نشاطات "من طفل إلى طفل"، وكلّفت أفراد كلٍّ من هذه المجموعات التنسيق فيما بينها ورفع التقرير حول النشاطات التي قاموا بها. تم تحضير مخطط عمل مدرسي يؤكد على ثلاثة مواضيع لها أولويتها وهي: "الطعام الصحي" و"التحصين المناعي" و"الماء الآسن".

أُدرج الموضوعان الأوّلان في جداول شباط/فبراير وآذار/مارس ونيسان/أبريل ١٩٩٦، من خلال مواد تدريسية متعددة كالتربية الصحية والرياضيات والعلوم واللغة العربية والتربية المدنية واللغة الصومالية والعلوم الاجتماعية والموسيقى والرسم. أما مجموعة "من طفل إلى طفل" فكانت مسؤولة عن تطبيق مواضيع المخطط العملي بصورة صحيحة وعن ادماج أنشطة "من طفل إلى طفل" بأنشطة مدارس أخرى.

وللتأكيد على الرسائل الصحية التي تعلم في غرف الدرس، تم اعتماد برنامج صباحي يشمل مسابقة وفقرة عنوانها "موضوع اليوم"، يحضِّر موضوعها أحد التلاميذ يومياً، ما عدا يوم الجمعة.

ورشة عمل جمعية "من طفل إلى طفل"

كان شهر نيسان/أبريل ١٩٩٦ في غاية الأهمية، فقد انعقدت خلاله ورشة عمل لجمعية "من طفل إلى طفل" في مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية دامت يومين، شارك فيها ثلاثون شخصاً (١٨ مدرّساً و٦ تلاميذ و٣ عاملين صحّيين واثنان من الأهالي وموسيقي واحد). تناولت جلسات هذه الورشة نهج "من طفل إلى طفل" ومسيرة تطوره في العالم ومفهوم مشاركة الأطفال. وخُصصت أهم جلسات الورشة لاستكشاف فرص إدخال أفكار "من طفل إلى طفل" في مناهج التربية الصحية المعتمدة. لقد عززت هذه الورشة مكانة أنشطة "من طفل إلى طفل" في مدرستنا.

أنشطة "من طفل إلى طفل" الصيفية

في العام المدرسي ١٩٩٥ - ١٩٩٦، وخلال أشهر الإجازة الصيفية الثلاثة، انخرطت إدارة المدرسة والمدرّسون والتلاميذ في نشاط صيفي على نهج "من طفل إلى طفل". وقد طرأت فكرة هذا النشاط الصيفي خلال ورشة عمل جمعية "من طفل إلى طفل" التي عقدت في نيسان/أبريل ١٩٩٦.

اتفق المشاركون على أن تكون مسألة "الماء الآسن" هي محور النشاط الصيفي الذي جرى في شهر آب/ أغسطس (آخر شهور العطلة الصيفية) والذي شارك فيه أكثر من ٢٠٠ تلميذ.

شكّل معلمو المدرسة وأحد العاملين الصحيين في المستوصف والمسؤول عن تزويد المخيم بالماء فريقاً لتزويد التلاميذ بالمعلومات الأولية الأساسية عن الماء النظيف والآمن، وعن الأمراض الناتجة من اتساخ الماء ووسائل الحفاظ على نظافة الماء من طريق استخدام المواد الكيميائية.

بحث التلاميذ الوضع ودرسوه داخل المدرسة وخارجها. وقام تلامذة الصفوف الثالث والرابع والخامس بتعليم تلامذة الصف الثاني مهارات جمع المعلومات، وجعلوا في كل مجموعة تلميذاً ليكون هو "مخزن المعلومات" لرفاقه، كما عمّموا معلومات ونصائح واضحة عن تعزيز الصحة في العنابر قرب مصادر الماء، والاستعمال المدروس للماء، وصناعة الأغطية لأوعية الماء البلاستيكية المنتشرة والمستخدمة بدلاً من الدلاء في المخيّم.

في هذه الأثناء، وبغية رفع مستوى وعي الأهالي في مخيم الجحين بأخطار الماء الآسن، أُقيمت ورشة عملٍ على نهج "من طفل إلى طفل" ليوم واحد ووجهت إلى الأهالي في المخيّم.

وعلى الرغم من أن معظم سكان المخيم قد حضروا احتفالات "من طفل إلى طفل" العديدة في المدارس، إلا أن ورشة اليوم الواحد هذه قرّبتهم أكثر فأكثر من مفهوم "من طفل إلى طفل" ومن دور الجمعية ومفهوم "الصحة من خلال المنهاج"، إذ سنحت لهم فرصة الاطلاع على مواد نهج "من طفل إلى طفل" واستعمالها.

إلى ذلك، استفادت العاملات الصحّيات من منهجية "من طفل إلى طفل"، فعبّرت إحداهن عن ذلك بقولها: "ستسهل أمامنا مهمّة الوصول إلى عقول الأهالي".

إستدامة أنشطة "من طفل إلى طفل"

وحدة موارد التربية الصحّية

في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٦، أسست المدرسة وحدة موارد التربية الصحية، بهدف:

- تدعيم المعلومات الصحية الأساسية ونشرها باللغة الصومالية.
- تدعيم دور الأطفال الصوماليين اللاجئين في نشر المعلومات الصحية الأساسية.
- تنظيم ورش عمل عن التربية الصحية تعالج مشكلات صحية لها الأولوية في المجتمع المحلي.

نشر أفكار "من طفل إلى طفل" عبر المجلة المدرسية

تلعب المجلة المدرسية الشهرية التي تصدر باللغة الصومالية "إفتينكا أكونتا" (أو نور التربية)، دوراً مهمًا في نشر المعلومات الصحية في المخيم، ويشارك فيها التلاميذ بمقالاتهم التي تتناول المواضيع الصحية كالطعام المغذّي والتحصين والصحة العامة.

يعتقد التلميذ سعيد أبو بكر يوسف (من الصف السادس) أن مشاركته في كتابة مقالات للمجلة المدرسية قد حسّنت قدراته الكتابية، كما يقول محمد موسى دلمار (من الصف الخامس)، وقد شارك بنشر قصة واحدة في المجلة، إنه يتوق إلى أن يكون كاتباً في الحقل الصحّي.

ينوي ناشرو المجلة اليوم إطلاق مسابقة في كتابة المقالة وذلك لمساعدة المدرّسين في الاعتماد على مساهمات تلامذتهم الغنية والمثيرة للحماسة.

استخدام مواد "من طفل إلى طفل"

يعتمد تنفيذ نهج "من طفل إلى طفل" جزئياً على الاستخدام المناسب لمواد "من طفل إلى طفل". بكلام آخر، لن تفيد المدرسة من هذا النهج إلا إذا كرّس مدرّسوها الوقت الكافي لكي يدرسوا معًا الفرص المتاحة في المنهاج المدرسي والتي تسمح باعتماد الأفكار والأنشطة التي تقدمها مواد نهج "من طفل إلى طفل". لقد استخدمت مدرسة اللاجئين الصوماليين الابتدائية كثيراً من هذه المواد، أُبقي بعضها على حاله وتمّ التصرّف بالبعض الآخر وتكييفه ليناسب ظروفنا المحليّة. أما الخطوة الأهم فكانت إدراج أوراق أنشطة "من طفل إلى طفل" ضمن المواد الإضافية في دروس التربية الصحّية لتلامذة الصفوف الرابع والخامس والسادس الابتدائي.

وعلى الرغم من أن مهمة ترجمة وتحضير وإنتاج مواد نهج "من طفل إلى طفل" باللغة الصومالية مهمة مجهدة، فقد استطاع المدرسون ترجمة ورقة "ماء نظيف وآمن" إلى

هذه اللغة، ولكن من دون رسوم. كما تمّ إدخال معلومتين أساسيتين من «**حقائق للحياة**» إلى النسخة الصومالية التي احتوت أيضاً مجموعة من الأسئلة لتخدم التلميذ أثناء جمعه المعلومات خارج المدرسة.

وقدّم قرّاء "من طفل إلى طفل" عوناً مفيداً، فقد لاقت المعلومات الواردة في قصة "هزيمة العصابة" استحساناً من الجماعة بعد أن تحوّل الكتاب إلى عرض مسرحي.

العلاقة بين المدرسة والمستوصف

ثمة علاقة وطيدة تربط المدرسة بالمستوصف في مخيم الجحين، فقد أدى إدراج نهج "من طفل إلى طفل" ضمن برنامج المدرسة إلى التقريب بين العاملين الصحيين والمدرّسين.

اقتنع العاملون الصحّيون تماماً بأن تعزيز الصحة الجماعية يتم فعلاً من خلال توحيد قوى المدرسة والمستوصف، لهذا اقترحوا في العام ١٩٩٥ إضافة صفحة صحّية إلى المجلة المدرسية. في المقابل، استخدم المستوصف أغنيات تروّج لمواضيع صحية، غنّاها التلاميذ في برنامجه الأسبوعي للتحصين، ودخل ثلاثة عاملين صحيين في لجنة الصحة المدرسية.

الدروس المستفادة من برنامج "من طفل إلى طفل":

- رسّخت أنشطة "من طفل إلى طفل" حب المعرفة والثقة في نفوس الطلاب الصوماليين اللاجئين الذين تولّوا مهمّة تعزيز الممارسات الصحية السليمة في المخيم.
- للأهالي دور مهمّ في تثمير أنشطة "من طفل إلى طفل". إذ يمكن لرسائل الأطفال الصحّية أن تكون أفعل حين يجري تزويد الأهالي بالمعلومات الصحية الأساسية في ورش عمل للتوعية تدوم يوماً أو يومين.
- على المدرسة التي تعتمد نهج "من طفل إلى طفل" أن تكون مثالاً للممارسات الصحية السليمة. فصورة المدرسة الداعية إلى تحسين الصحة تستند إلى أنشطة عديدة منها "المنافسة على النظافة" بين الصفوف.
- لا يتطور برنامج "من طفل إلى طفل" ما لم يسعَ القيّمون عليه إلى أن يتعلموا من برامج "من طفل إلى طفل" المنتشرة في العالم.
- إن الصلة الوثيقة بين المدرسة والمركز الصحي حيوية جداً في إطار تأثير برنامج "من طفل إلى طفل" في أي مجتمع محلي .

- أنشطةُ "من طفل إلى طفل" التي ينظّمها المدرّسون ضروريةٌ من أجل تقديم هذا النهج إلى أية مدرسة. ويجب أن لا ننسى أنّ تشجيع الأطفال على تنظيم أنشطتهم بأنفسهم أمر حيوي جداً. فهذه وسيلة فاعلة من بين وسائل دفع الأطفال إلى التجريب واختبار الأمور، إذ يساعد هذا في تنمية شخصياتهم، وتقوية حسّ المسؤولية لديهم ويمنع تقطّع نشاط البرنامج.
- اللقاءات الدورية الهادفة إلى تبادل المعلومات حول الطرق التي يعتمدها مدرّسون مختلفون في المواضيع الفردية تمنع فتور الهمة الذي قد يصيب بعض المدرّسين بعد اختفاء النشاط الذي يرافق بداية التطبيق.
- إن احتفالات "من طفل إلى طفل" مناسبة مهمة للاجتماع، فضلاً عن انها تبقى وسيلة فعّالة للوصول إلى المجتمع المحلي.

خاتمة: ماذا يقول سكّان مخيّم الجحين؟

استطاعت سميرة، تلميذة الصف الثالث، أن تجد طريقة لاجتناب الرفض الذي قد يواجهه الأطفال عند قيامهم بنشر المعلومات الصحّية. تقول :" لقد خفت في بداية الأمر أن ينعتوني بالبنت التي تعلّم أهلها كيف تحصل الولادة، فاكتفيت بالمحافظة على نظافة المنزل ووضع قواعد السلامة العامة في العائلة. فحين أجد سكيناً أو آلة حادة في الفناء أحملها وأضعها في سلّة علقتها في أحد أركان المنزل وقلت بصوت عالٍ: ﴿من وضع السكاكين في المطبخ؟ عبد الراشد (أخي في عامه الأول) قد يؤذي عينه به﴾. وهكذا، حتى أصبح الجيران يدركون الأسباب الرئيسية الكامنة وراء الحوادث".

وتقول إحدى الأمهات: "بناتي ينتبهن دائماً إلى أخيهن الصغير كي لا يدبّ ويقترب من النار. وهذا دليل على الأثر الذي يتركه نهج "من طفل إلى طفل" في العائلة".

عبد الحميد أحمد، الكاتب الشاب المبدع والمعجب بأنشطة "من طفل إلى طفل" المدرسية، يعتقد أن أثر هذه الأنشطة جليٌ لكل ناظر، ولو أن البرنامج لا يزال في بدايته: "لقد انتهج معظم التلاميذ نهجاً حياتياً صحياً واكتسبوا معرفة صحية أساسية تخوّلهم تحضير محلول معالجة التجفاف حين ينتشر الإسهال في المنزل. وعندما نحضر اجتماعات المدرسة نسمع صوت الأطفال عالياً. لا مفرّ من الاستماع إليه حين يعرضون المشكلات الصحية ويقدمون الحلول المقترحة. لقد أفاد نهج "من طفل إلى طفل" التلاميذ والمدرّسين والمجتمع المحلي. وكلنا أمل أن ينتقل هذا النهج إلى وطننا الأم، الصومال".

استمارة لتوثيق خبرات عربية في تطبيق نهج "من طفل إلى طفل"

تقوم "ورشة الموارد العربية" بإصدار رزمة تدريبية عن "من طفل إلى طفل"، وهي نسخة معربة ومكيفة بشكل واسع عن النسخة الصادرة عن مؤسسة "من طفل إلى طفل" تحت اسم Child to Child - Training Pack .

وحتى تكون الرزمة أكثر فاعلية، فنحن نحاول أن تتضمن أكبر عدد ممكن من الخبرات العربية الميدانية. لذا، نطلب أن تتعاونوا معنا فتمدونا بخبراتكم.

إن تشارك هذه الخبرات يساعد على:

١. زيادة الألفة بين قراء هذه الرزمة و محتوياتها، بحيث يشعر القارئ بالإنجازات والصعوبات والتحديات التي تواجه عملية تطبيق "من طفل إلى طفل" في ميادين وأجواء تشابه تلك التي يعيشها ويعمل فيها.

٢. أن تساهم هذه الخبرات في تعزيز، أو زيادة، النقاش حول المحتوى النظري الذي تطرحه الرزمة.

٣. أن تساعد هذه الخبرات على إمداد القارئ بالمزيد من الآليات والأساليب العملية والممكنة والتي تمكن من تطبيق نهج "من طفل إلى طفل".

٤. أن تساهم هذه الخبرات في تراكم المعرفة لدى القارئ و اطلاعه على تنامي انتشار هذا النهج واستخدامه في المجتمعات العربية، وتشجعه على المساهمة في هذا المسار.

٥. أن تكون هذه الخبرات أداة يمكن للقارئ من خلالها الاتصال والتواصل مع أصحاب هذه الخبرات للتحاور معهم أو لاكتشاف سبل للتعاون المشترك.

لقد صُممت هذه الاستمارة لمساعدتكم على عرض خبراتكم كأفراد أو مؤسسات. إن الأسئلة هنا هي أدوات يمكن تطويعها وتعديلها بالشكل الذي يضمن أفضل عرض لخبرتكم والإفادة من إنجازاتها، والصعوبات التي قابلتها. وبالتالي، فإن الأسئلة التي تتضمنها هذه الاستمارة ليست لإصدار حكم على الخبرات بل لإلقاء الضوء على جوانبها المختلفة وتشارك التحديات والحلول التي تقترحها.

شاكرين تعاونكم مع كل التقدير،

برنامج "من طفل إلى طفل"

ورشة الموارد العربية

خبرات خاصة بأثر النهج على البرنامج

١. نبذة عن البرنامج:

- لماذا نشأ؟
- متى بدأ؟
- كيف؟
- ما هي أهداف النشاط الذي يستخدم نهج "من طفل إلى طفل"؟
- كم عدد المشاركين؟ ما هي أعمارهم؟ أين يتم تنفيذ البرنامج (المنطقة الجغرافية)؟
- كيف يتم تحديد الفئة المستهدفة (المشاركين)؟ كيف يتم الوصول إليهم؟
- كيف تعرفتم على "من طفل إلى طفل"؟
- لماذا اخترتموه للعمل مع هذه الفئة؟ (أهم ٣ أسباب)؟
- ما هي المواضيع التي تم تناولها؟
- هل يتم استخدام منهجية "الخطوات الست" أم منهجيات أخرى؟

٢. أثر استخدام النهج على الأطفال:

- كيف أثّر استخدام نهج "من طفل إلى طفل" في الأطفال من حيث:

أ. زيادة قدراتهم؟ وأي نوع من القدرات أو المهارات ساهم النهج في زيادتها وتطويرها؟

ب. كيف أثر استخدام النهج على علاقة الأطفال ببعضهم داخل النشاط؟

ج. كيف أثر استخدام النهج على علاقة الأطفال بمجتمعهم؟ وما هي المؤشرات التي استخدمت للدلالة على ذلك؟

- كيف أثر استخدام النهج على ارتباط الأطفال بالبرنامج؟ مثلاً: هل ازداد معدل حضور الأنشطة (المواظبة)؟ هل ازداد عدد الأطفال الذين يقبلون على البرنامج؟ هل ازداد الالتزام بالأنشطة؟

- كيف يرى الأطفال تأثير استخدام النهج عليهم؟ كيف يكتشفون هذا التأثير؟
- آثار ونتائج أخرى.

٣. أثر استخدام النهج على البرنامج

- كيف أثر استخدام النهج على فاعلية البرنامج؟ ما هي المؤشرات الدالة على ذلك؟
- كيف أثر استخدام النهج على محتوى البرنامج (المواضيع)؟
- كيف أثر استخدام النهج على مرونة البرنامج (إدخال التعديلات عليه طبقًا للمستجدات ولرأي الأطفال)؟
- كيف أثر استخدام هذا النهج على مدى الوصول إلى الفئات المستهدفة؟
- كيف أثر استخدام النهج على تكلفة البرنامج؟
- كيف أثر استخدام النهج على عمليات التخطيط والتنفيذ والتمويل والتقييم واتخاذ القرار داخل البرنامج؟
- غير ذلك..
- ما هي أهم الصعوبات التي واجهتكم في إدخال نهج "من طفل إلى طفل" على البرنامج؟
- هل ترون أن هناك مجالات أو نوعاً معيناً من المواضيع التي يؤدي استخدام النهج إلى نجاحات واضحة فيها؟ ما هي؟
- هل ترون أن هناك مجالات أو نوعاً معيناً من المواضيع التي لا ينفع استخدام نهج "من طفل إلى طفل" فيها؟ ما هي؟
- ما هي المواد والموارد ووسائل الإيضاح التي كنتم تستخدمونها قبل إدخال النهج على برنامج؟ وما هي تلك التي تستخدمونها بعد إدخال النهج؟ ما الفرق بينها؟ كيف تحصل على الموارد الأخيرة؟

خبرات خاصة بالتدريب أو التنشيط

١. كيف يتم تحديد الاحتياجات التدريبية أو التنشيطية للعاملين بالهيئة (البرنامج)؟

٢. ما أثر استخدام النهج على الأطفال؟

٣. إذا ما عدنا بذاكرتنا إلى العام الماضي، ما هي الورش التي أقمتموها عن نهج "من طفل إلى طفل"؟ ما عدد الورش حول كل موضوع؟ و ما مدة كل ورشة؟ (نرجو استخدام الجدول التالي أو ما يشابهه):

	العدد	مدة الورشة
أ. ورش إطلاع على النهج وترويجه		
ب. ورش تدريب أو تنشيط مدربين أو منشطين		
ج. ورش تدريب أو تنشيط العاملين مع الأطفال مباشرة		
د. ورش لتبادل الخبرات بين الهيئات		
هـ. ورش للتدريب على التخطيط والتقييم		
و. ورش تدريب على إنتاج موارد واستخدامها		
ز. ورش أو أنشطة أخرى، حدد		

٤. نرجو اختيار إحدى هذه الورش لإعطاء خبرتكم فيها:

- كيف يتم اختيار مواضيع أو جدول أعمال الورشة؟ كيف يتم تحديد أهدافها؟
- كيف يتم اقتراح المشاركين؟ ما هي المعايير المستخدمة؟
- كيف يتم اختيار المدربين؟ ما هي المعايير المستخدمة؟
- كيف تتم متابعة مثل هذه الورش؟
- كيف يتم توفير مناخ تعلمي أثناء هذه الورشة (الآليات ـ الأساليب)؟

- هل يشارك الأطفال في هذه الورشة؟ ماذا كان دورهم؟ ما هي الدروس المستفادة من هذه المشاركة؟
- كيف يتم التعلم من مواقف بعض المشاركين السلبية (خصوصاً تلك التي تتعلق بمشاركة الأطفال والتعلم النشط)؟
- ما هي المؤشرات التي وضعتموها لقياس نجاح هذه الورشة؟ كيف يجري تقييمها؟
- ما هي الموارد التي استخدمتموها في هذه الورشة؟ كيف حصلتم عليها؟ هل أضفتم إليها أو حذفتم منها؟
- هل أدت إقامة مثل هذه الورشة إلى تعاون من أي نوع مع هيئات أخرى تنهج "من طفل إلى طفل"؟ ما شكل التعاون؟ كيف حدث ذلك؟
- هل تم توثيق هذه الورشة؟ كيف؟ من وثقها؟ هل جرى تصويرها؟ كيف يمكن الحصول على نسخة من التقرير أو التوثيق؟

موارد «من طفل إلى طفل» من ورشة الموارد العربية

❖ **«كتاب التدريب والتقييم»** على نهج «من طفل إلى طفل»، يحتوي على: ● الأفكار الرئيسية والتطبيقات المختلفة ● دليل التدريب والتطبيق ● دليل التقييم والمتابعة ● كيف تستعمل القصص ● كيف تنظّم ورشة العمل والندوات.
طبعة ثانية: ١٩٩٧

❖ **كتاب الأنشطة**
يتضمن: ● كيف تستعمل أوراق الأنشطة ● النصوص الكاملة لأوراق الأنشطة في ٨ أبواب:
١. نمو الطفل وتطوره؛ ٢ ـ التغذية؛ ٣ ـ النظافة الشخصية ونظافة المجتمع؛ ٤ ـ السلامة؛ ٥ ـ اكتشاف الإعاقات ومساعدة المعوقين؛ ٦ ـ الوقاية وعلاج الأمراض؛ ٧ ـ أساليب الحياة السليمة؛ ٨ ـ تفهّم مشاعر الأطفال.
طبعة ثانية: ١٩٩٧

❖ **نشرة «معًا»**
إنها أداة للتشارك في الخبرات والتجارب في نهج «من طفل الى طفل». تتوجه للمنشطين والفتيان ومن يعمل معهم. (تصدر بالإنكليزية أيضًا)

❖ **فيديو التدريب**
فيلم فيديو + دليل استخدام
فيلم اختيرت أجزاؤه من مجموعة أفلام تصور أنشطة مختلفة لبرنامج «من طفل الى طفل». يتوجه الفيلم الى المنشطين والمعلمين الذين تساعدهم مشاهدته قبل عرضه على الأطفال، على اختيار المشاهد المطلوبة وتكييف أسئلة المناقشة وفقًا لحاجات المشاركين ـ ١٩٩٩

❖ **قصص «من طفل إلى طفل»**
■ صدر منها حتى الآن:
١. **مغامرات موسى في النهر:** قصة عن مخاطر المياه القذرة والمياه الراكدة ـ ١٩٩٠
٢. **سامي يعلّم أخاه:** سامي يساعد أخاه الصغير على تعلّم المشي والكلام والعدّ واللعب ـ ١٩٩١
٣. **الشجعان الثلاثة:** قصة ٣ أطفال معوقين يساعدهم أصدقاؤهم على التكيّف والتعلّم واللعب ـ ١٩٩١
٤. **هزيمة العصابة:** قصة عن دور الأطفال والتطعيم في محاربة عصابة «الأمراض الستة».
٥. **المرشدة نور:** قصة عن مخاطر الإلتهاب الرئوي والحمى والدور الذي يمكن أن يلعبه الأطفال الكبار في حماية الصغار منهما ـ ١٩٩١
٦. **شراب الحياة:** قصة عن دور «الشراب البسيط» في إبعاد خطر الجفاف والموت عن الطفل المصاب بالإسهال ـ ١٩٩٢
٧. **الغيلان الخمسة:** عن خطر الذباب وأهمية دور الأطفال والنظافة في القضاء عليه ـ ١٩٩٢
٨. **حارس المرمى:** عن أهمية الغذاء الجيد والمتوازن في ضمان الصحة والقوة ـ ١٩٩٢

❖ **رزمة التدريب ـ يصدر قريبًا**
تتألف رزمة التدريب على نهج «من طفل إلى طفل» من مجموعة أجزاء: ● مبادئ ومفاهيم نهج «من طفل الى طفل»، ● العمل مع الأطفال في النهج ● إدارة مشاريع «من طفل الى طفل» ● تدريب العاملين الميدانيين والمدربين على النهج ● الموارد واستخدامها في «من طفل الى طفل».

❖ **مساعدة الأطفال في الظروف الصعبة**
دليل للمعلمين العاملين مع الأطفال في ظروف العنف والأوضاع القاسية. وهو يساعد على تمييز وفهم الآثار التي تتركها الحروب والنزاعات الاجتماعية والعنفية على مشاعر الأطفال وتطورهم. طبعة ثانية: ١٩٩٨

❖ **التواصل مع الأطفال**
دليل يبحث في المشكلات التي تبرز عند التحدث مع الطفل ومحاولة إقامة اتصال وتواصل معه في ظروف الضيق والنزاعات. تشمل مواضيع الدليل معلومات وخبرات وتمارين في: إقامة الاتصال، التعارف، الكشف عن المشاعر، التغلب على عقبات الاتصال، تقديم الدعم والنصح، إلخ. ـ ١٩٩٨

الحالات المدروسة هنا تصف الصعوبات التي يواجهها الأطفال الذين يعيشون في مخيّمات وقرى وبلدات تدهورت فيها الخدمات والتقديمات إلى حدودها الدنيا. كما أن المساحات المخصّصة للعب هؤلاء الأطفال وسكنهم فقدت أمنها بسبب النزاعات أو استعمال الأسلحة وزرع الألغام. ما يستشفّ فعلاً من هذه الدراسات هو القدرة الملحوظة عند الأطفال على الاستمرار والنجاح برغم كل هذه الظروف القاسية المحيطة بهم.

تبني هذه الدراسات على القوة الكامنة في مشاركة الأطفال والشراكة معهم، وتقدم وصفاً لكيفية استخدام نهج «من طفل إلى طفل» لتشجيع الأطفال على اكتشاف دورهم في تحديد المشكلات واتخاذ القرارات وتنفيذها في بيئات مختلفة، والمشاركة بالتالي في صون حياتهم وإعادة بنائها.

الدراسات الأربع تسلّط الضوء على أهميّة الشراكة التي لا تقتصر على تلك التي تقوم بين الراشدين والأطفال، بل تتعدّاها إلى:

- الشراكة بين القطاعين التربوي والصحي،
- الشراكة بين الحكومات والمنظمات غير الحكومية،
- الشراكة في ما بين المنظمات غير الحكومية نفسها،
- الشراكة داخل المدرسة لتسهيل تنفيذ إدراج الصحة بين مواد المنهاج التعليمي،
- الشراكة مع وسائل الإعلام.

ولهذه الدراسات أهمية خاصة عند المهتمين بحقوق الطفل وأولئك الباحثين عن طرقٍ أكثر مرونة للعمل مع أطفالٍ ظروفهم صعبة.

Al Musharakat Fi Iàadat Bina' Al-Hayat (Participating in Rebuilding Life).
First Arabic Edition, 2000.
Based on: *Rebuilding Young Lives: Using the Child-to-Child Approach with Children in Difficult Circumstances.* By: Patricia Harman and Christine Scotchmer
The Child-to-Child Trust, Institute of Education.
Published by: the Arab Resource Collective (ARC), with Bissan for Publishing & Distribution